

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية و الحضارة
قسم التاريخ

الموضوع

الإنجازات الحضارية في الأسرة الثامنة عشر

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ حضارات قديمة

إشراف الدكتور:
د. أبوبكر مريقي

إعداد الطالب:
أبوزيد شاكى

السنة الجامعية: 2022/2021

شكر و عرفان

فشكر الله عز وجل الذي بتوفيق منه و بفضل منه تمكنا من إنجاز هذه المذكرة نتقدم بالعرفان والشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل: دكتور أبوبكر مريقي على كل التوجيهات والملاحظات المقدمة لنا، وكذا على صبرها طيلة إشرافه على هذه المذكرة رغم تعدد إلتزاماتها. كما نشكر كثيرا جميع الأساتذة و الزملاء الذين قدموا لنا المساعدة مهما كانت طبيعتها، وإلى كل من قدم لنا تشجيعا مهما بلغت درجته. كما نتوجه بخالص الشكر إلى كافة أساتذتنا الكرام بقسم تاريخ بصفة عامة وتخصص حضارات قديمة بصفة خاصة على ما قدموه لنا طيلة فترة دراستنا وبصفة خاصة: د. كيدار ، د. حمدي، د. طارق مريقي، د. اوكيل، د. رمضاني، د. عطية د. بوركنة، د. جفال، د. تونسي .

كما لاننسى كلا من الاستاذ شارف مارية و علي بن ثابت و احمد بن حدحوم.

اهداء

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى
وأهله ومن وفي أما بعد: الحمد لله الذي وفقنا
لتتقن هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا
هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضلته تعالى مهداة إلى
الوالدين الكريمين حفظهما الله وأدامهما نورا
لدربي لكل العائلة الكريمة التي ساندتني ولا تزال
من إخوة وأخوات وإلى زملاء الدراسة تخصص
حضارات قديمة دفعة 2022 وإدارة قسم تاريخ.

مقدمة

شهد العالم القديم ميلاد حضارات وضعت أسس للمدينة والحضارة الإنسانية، وكان لكل حضارة طابعها الخاص ومن بين تلك الحضارات العريقة التي نشأت في الشرق الأدنى وعدت من أهم الحضارات هي الحضارة المصرية، فمن المسلم به أن حضارة مصر القديمة كانت من أولى الحضارات الكبيرة المستقلة ذات القيم الراسخة والتقاليد المتواصلة والآثار الكبيرة الباقية إن لم تكن هي بالفعل أقدمها عمرا وتاريخا، وأبهرت العالم في جميع المجالات وحيث أصبح كلمة اكتشاف وفك لغز والأسرار مردفا لاسمها حيث شهدت هذي الحضارة على امتدادها التاريخي أحداثا عديدة وتعقبت على نظام حكم حيث تم تقسيم تاريخها إلى دول ثلاث ألا وهي الدولة القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة فكانت هذي الأخيرة إحدى المراحل التاريخية الهامة في الحضارة المصرية حيث تعقبت على سدت الحكم عدة أسر والتي شملت الأسرة الثامنة عشر و التاسعة عشر والأسرة العشرون، وكانت الأسرة الثامنة عشر إحدى أهم الأسر ليس في الدولة الحديثة فقط بل في تاريخ مصر ككل ومعها تبدأ صفحة جديدة من المجد وهي فترة تختلف في كثير من النواحي عما يسبقها من فترات حيث تحولت فيها مصر من أمة ضعيفة محتلة على أمة قوية ومنتصرة حيث شهد تاريخها ازدهارا في جميع النواحي وعلى جميع الأصعدة السياسي والديني والاقتصادي والاجتماعي فملوك وملكات العظام عرفتهم هذي الأسرة في جانب الديني شهدت تغير عبادة عدة آلهة إلى عبادة معبود واحد فكانت بذلك ثورة دينية تعرفها هذي الأسرة الاقتصاد هو الآخر شهد تطور وتوسعا كبير كما عرف فن العمارة ازدهار لم يعرف له نظير وهو من انعكاس على تطور العمارة في تلك فترة كل هذي مقومات أدت لتسليط الضوء على هزيه الأسرة ومعرفة مظاهرها الحضارية.

أسباب اختيار الموضوع :

وتكمن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع من جانبين أحدهما ذاتي والآخر موضوعي، فالأول يتمثل في رغبتنا الشديدة في دراسة حضارة من الحضارات القديمة ألا وهي الحضارة المصرية، بالإضافة إلى أن هذا الموضوع قد تم اختياره من قبل الأستاذ المشرف، وهو ما حفزنا كثيرا للخوض في غماره.

أما الثاني فيتمثل في الفضول المعرفي الشديد لدراسة الموضوع قصد الإحاطة بمختلف الجوانب المتعلقة بالمنجزات الحضارية لأسرة الثامنة عشر ، وتأثيرها في تاريخ الحضارة المصرية، وكذلك في الرغبة في البحث في التاريخ الدولة الحديثة الذي يعتبر من أهم المحاور الكبرى التي ينبغي التركيز عليها نظرا لما لتلك المرحلة من أهمية في تاريخ الحضارة المصرية.

2- أهمية الموضوع :

يكتسي موضوع البحث الذي يدور حول المظاهر الحضارية للأسرة الثامنة عشر وتأثيرها في الحضارة المصرية والتي انعكست على جميع أصعدة الداخلية والخارجية على هذيه الحضارة وتاريخها ودور الاسرة الثامنة عشر في هذا ارتقاء .

اشكالية الموضوع:

إلا أنه وخلف هذه الأسباب والأهمية التي اكتسبها هذا الموضوع فقد تبادرت إلى ذهننا الإشكالية التالية،

فيما تكمن أهم المظاهر الحضارية في الأسرة الثامنة المصرية؟

ومن خلال هذه الإشكالية يمكننا طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية منها:

-كيف كانت الحياة السياسية في الأسرة الثامنة عشر؟

-كيف كانت الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الأسرة الثامنة عشر ؟

-ماهي مميزات الحياة الدينية في الأسرة الثامنة عشر؟

منهج الدراسة:

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج التاريخي الوصفي الذي قمنا من خلاله بوصف الأحداث والوصول إلى استنتاجات وحوصلة عامة للموضوع.

حدود الدراسة:

أما بالنسبة للإطار التاريخي والزمني فإنه دون شك يمتد على مدار الاسرة الثامنة عشر 1575 - 1308ق.م، والتي كانت واحدة من مظاهر المنجزات الحضارة المصرية.

خطة البحث:

أما عن خطة الدراسة المعتمدة في هذا البحث، فإنها تتكون من مقدمة وأربعة فصول رئيسية، يتضمن كل فصل مباحث وخاتمة التي ذكرنا فيها النتائج التي توصلنا إليها ثم قائمة المصادر والمراجع والفهارس.

وقد جاءت الخطة على النحو التالي: الفصل الأول: الذي كان بعنوان الحياة السياسية ، أدرجنا فيه ثلاثة مباحث، الأول كان بعنوان انتقال الثاني ومشكلة الهكسوس، والثاني تحرير مصر من الهكسوس ، أما المبحث الأخير ملوك الأسرة الثامنة عشر.

الفصل الثاني: تناولنا فيه الحياة الاجتماعية واحتوى هذا الفصل على أربعة مباحث، حيث تحدثنا في المبحث الأول عن طبقات المجتمع والمبحث الثاني عن المرأة ومكانتها في مصر القديمة والمبحث الثالث الوضع القانوني والاجتماعي للمرأة المصرية القديمة أما المبحث الرابع ملكات حاكمات.

الفصل الثالث :كانت تحت عنوان الحياة الاقتصادية واحتوى على ثلاثة مباحث وكان المبحث الأول بعنوان الزراعة و المبحث الثاني صناعة اما المبحث الثالث التجارة وطرق المواصلات

الفصل الرابع:جاء بعنوان الحياة الدينية يحتوي على أربعة مباحث المبحث الأول آلهة والمبحث الثاني نشأة الكهنة وشروطها وجاء المبحث الثالث بعنوان طقوس الجنائزية بمقابر الأفراد في الأسرة الثامنة عشر أما المبحث الرابع المعابد.

مراجع البحث:

أما بالنسبة لأهم المراجع التي اعتمدنا عليها فهي متنوعة تناولت بالدراسة الجانب الحضارة المصرية ومنجزاته.وقد اعتمدنا على المراجع التالية:

كتاب موسى ،أحمد رشاد ،دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي وكتاب محمد بيومي مهران ،الحضارة المصرية القديمة ،ج2

كتاب محمد شفيق غربال وآخرون:تاريخ الحضارة المصرية العصر الفرعوني وكتاب طبوزة يوسف زكية :تاريخ مصر القديمة وكتاب صالح عبد العزيز ،الشرق الأدنى القديم ،ج1

صعوبات البحث:

أما عن الصعوبات التي واجهت الدراسة فهي تأتي في عمومها في إطار البحث العلمي الذي دون شك لا يخلو أبدا من الصعاب، سواء ما تعلق بالأعمال المنشورة باللغات الأجنبية والتي تحتاج للدراسة والترجمة، أو بعض المراجع الهامة التي صدرت حديثا لدى العديد من دور النشر لكنها مفقودة في السوق، ويبقى البحث العلمي دوما بحاجة إلى مجهود كبير من أجل الوصول إلى إنجاز أعمال ذات قيمة وأهمية علمية.

الفصل الأول

الفصل الأول: الحياة السياسية

❖ المبحث الأول: مصر خلال فترة الانتقال الثاني

ومشكلة الهكسوس

❖ المبحث الثاني: تحرير مصر من الهكسوس:

❖ المبحث الثالث: ملوك الأسرة الثامنة عشرة

الفصل الأول: الحياة السياسية

المبحث الأول: مصر خلال فترة الانتقال الثاني ومشكلة الهكسوس

تشغل فترة الانتقال الثاني الأسرات الثالثة عشر إلى السابعة عشر (1789 إلى 1072 ق.م). وكانت تلك الفترة مرحلة انتقالية بين فترتي قوة في الحضارة المصرية ونعني بها الفترة التاريخية السابقة لها وهي الدولة الوسطى، وتلك التالية وهي الدولة الحديثة وعصر الإمبراطورية¹.

وزال حكم الأسرة الثانية عشر واعتبرت سبب نفرو أو سبب نفر ورع خاتمة لهذه الأسرة، وهذا ما أجمعت عليه بردية تورين وقائمة ملوك سقارة ومانيتونج، جاءت نهاية الدولة في ظروف غامضة. ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها: . اعتماد أمنمحات الأول على حكام الأقاليم لتوطيد حكمه واعتبار حكمه بداية لعهد جديد، بالإضافة إلى نبوءة نفر تي التي تقدمه في صورة المخلص وهذا يدل على أنه يوجد صراع على الحكم انتصر فيه أمنمحات الأول على الأسرة السابقة له. . نهاية أمنمحات الأول الحزينة التي توضحها قصة سنوهي، وكذلك نصائحه لولده

سنوسرت تدل على وجود نزاع على السلطة داخل الأسرة الحاكمة.

التسلل الآسيوي وانتشار الآسيويين في البلاد بل ودخل منازل الأغنياء كخدم لهم يدل على أن مقاومة ملوك الأسرة الثانية عشر لهذا التسلل لم تكن ذات تأثير، ففي عصر سنوسرت الثاني كان هناك إلى جانب التسلل غير المشروع زطيات ودية يقوم بها أقوام آسيويون، كما توضح لنا مناظرة مقبرة خنوم حتت الثاني، حيث تقدم المناظر المنقوشة على جدرانها هؤلاء الوافدين يقودهم رئيس يدعى احييتاوي، إن مقاومة هذا التسلل الآسيوي قد اتخذ مظهر العنف ومظاهر الود تارة أخرى كما يتضح لنا من:

* تحصين الحدود الشمالية الشرقية.

* اختيار موقع العاصمة الجديدة "ايتيتاوي" في مواجهة الشمال الشرقي.

¹ - علاء الدين عبد المحسن شاهين، التاريخ السياسي والحضاري لمصر لفرعونية، الخليج العربي، القاهرة، 2007، ص 99

الحملات العسكرية والزيارات الودية. زيادة نفوذ حكام الأقاليم ابتداء من عصر تسنوسرت الثاني"، مما انعكس بالخير على أقاليمهم من ناحية واطعف من نفوذ الملوك من ناحية أخرى.

* ظهور نصوص اللعنة النصوص السحرية والتي تنقش على الأواني الفخارية الحمراء

أو على تماثيل صغيرة بدائية الصنع استخدم في الطقوس الدينية أو السحرية ليصب بها الملك أو من يقوم بها اللعنة على أعدائه أو على من يتوقع منهم العداوة، وردت عليها أسماء أسبوية منها اسم أورشليم الذي يظهر لأول مرة في هذا العصر وكذلك أسماء أشخاص منهم الأسويين .

* الحملات العسكرية والزيارات الودية. و زيادة نفوذ حكام الأقاليم ابتداء من عصر تسنوسرت الثاني"، مما النوبيون والتحنوا وأيضاً أسماء مصرية مما دل على تنوع جنسيات الأعداء، وضعف قدرة الملوك المصريين في بداية الأمر على المقاومة.

وفي ظل هذه الظروف والفوضى انتقل الحكم إلى الأسرة الثالثة عشر وكان أول ملوكها الملك سخم رع خوتاوى ، وحينها اجتاحت الفوضى والاضطراب والطمع العرش المصري¹.

وبها انتقلت مقاليد الحكم إلى أيدي حاكمة جديدة حوالي الربع الأول من القرن الثامن عشر قبل الميلاد بطريقة غير معروفة، وتعاقب على عرشها ملوك وانساب مختلفة من بيوت عدة، واختلفت العواصم فبعضهم فضل طيبة عاصمة له والآخر فضل مدينة "ايتاوى"².

ظلت وحدة البلاد قائمة في بداية هذا العصر من الناحية الشكلية واستمرت الأعمال الإدارية كأعمال تعداد السكان وإحصائيات المواشي والعقارات تجري في مكاتب الإدارة المحلية والإقليمية كما ورثو عن الأسرة السابقة لهم حدود جنوبية تمتد إلى ما بعد الشلال الثاني عند حصني سمنا وقمة حافظوا عنها لمدة قصيرة.

وتوزعت سلطة الحكم على مصر خلال تلك المرحلة الانتقالية بين ثلاث قوى مناوئة وأحياناً متعاصرة : الأسرة الثالثة عشر التي ادعت صلتها الملكية بما سبقه ، واتخذت من "طيبة" مقراً لحكمها

1- محمد شافيق غربال وآخرون: تاريخ الحضارة المصرية العصور الفرعونية ، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2016

ص121،

²—عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم ، مكتبة الانجل المصرية، القاهرة، 2006، ص273

وفي ظل ظروف ضعف وتشتت الأسرة الثالثة عشر 13 استغل أمراء منطقة سخا ومصر فرصة الضعف واستقلوا بأقاليمهم متخذين من مدينة سخا بكفر الشيخ عاصمة لهم، ويذكر مانيون أن عدد ملوك هذه الأسرة كان ستة وسبعون 76 حاكما حكموا مدة 184 عاما، وتذكر بردية تورين 21 ملكا منهم وسقطت هذه الأسرة بعد نهاية الأسرة الثالثة عشر 13 ب30 سنة وهكذا تنازعت في مصر في هذه الفترة ملوك الأسرة الثالثة عشر في الجنوب وأمراء سخا في غرب الدلتا بينما كان الهكسوس في شرقها ومهد ذلك للهكسوس أن يقضوا عنهم¹. فقد بدأ تسللهم حسب بعض المؤرخين في منتصف الأسرة الثانية عشر 12 ومنتصف الأسرة الثالثة عشر 13، واستمر ذلك من عام 1720 إلى عام 1700 ق.م استنادا للوح الأثري المعروف بلوح الأربعمائة" الذي سمي نسبة للاحتفال الذي أقيم بذكرى تأسيس معبد الإله ست في أفاريس الذي رأى فيه الهكسوس أن هذا الإله المحلي هو صورة من إلههم الآسيوي المقدس" بل أو يشوب" حسب اللوح.

والأسرة الرابعة عشر في مصر السفلي واتخذت من مدينة "سخا" ² في غرب الدلتا عاصمة لها والأسرتين الهكسوسيتين الخامسة عشر والسادسة عشر والتي خلالهما تحكمت قوى أجنبية ولأول مرة على أجزاء من شرق دلتا مصر ، وبسطت خلالها نفوذها على الدلتا وحتى وسط صعيد مصر. ولقد تعددت الآراء فيما يتعلق بطول مدة حكم الأسرة الثالثة عشر حيث يرى مانيون أنها شملت ستين ملكا طيبا، في حين سجلت نصوص بردية تورين أن ملوكها تراوحت ما بين خمسين إلى ستين ملكا، وكان معظم هؤلاء الملوك من أصل طيبى ، وأنهم خصصوا أعمالا معمارية عدة في مناطق الدير البحري ، والكرنك والمدامود ، وطود . وفيما يبدو أنه في عهد سخم كارع أمنمس سنوف أحد ملوك الأسرة الثالثة عشر ظلت لمصر سيطرتها على النوبة حتى الجندل الثاني. وبالمثل ظل أمير بيلوس في آسيا على ولائه لها ومعترفا بخدمته لملكها. وعكست نصوص بردية بروكلين رقم 3501446 من العام الخامس من عهد "سخم رع سوبك م سان" الأول ، وبردية بولاق

¹ -أحمد سليم أمين: دراسات في تاريخ الأدنى القديم ، دار النهضة العربية، الاسكندرية، 1998، ص65

² - علاء الدين عبد المحسن شاهين ،المراجع السابق ،ص99

18 مدي انتشار استخدام الآسيويين في أعمال الخدمة بالمنازل المصرية وبالمثل في المعابد ، وبداية ما يمكن تسميته ازدياد نسبة التسلل البشري الآسيوي السلمي إلى داخل مصر مع نهايات عصر الدولة الوسطي وخلال الأسرة الثالثة عشر كما وجدت إشارة إلى وجود قوات آسيوية ، وإلى " كاتب "خاص بالآسيويين .استقر الغزاة الهكسوس في شرق الدلتا¹ منذ نهاية الأسرة الثالثة عشرة وركزت حركة التوسعات في نهاية حكم ملوك الأسرة الرابعة عشرة.

وبصفة عامة فإن الأسرة الرابعة عشر نادرة الآثار ، وان حفظت نسبيا أسماء ملوكها، ومنهم ذلك المسمي بالآسيوي " بنم " أو " بيلم " وقد تعاصرت الأسرات الثالثة عشر - السادسة عشر معا والسادسة عشر والسابعة عشر الطيبة معا مما جعل الخريطة السياسية لمصر تبدو مقسمة بين أكثر من أسرة حاكمة على منطقة بعينها مابين الأسرة الثالثة عشر الطيبة في منف، والرابعة عشر السخاوية وعاصمتها سخا ، والهكسوسية بأسرتيها الخامسة عشر والسادسة عشر وعاصمتها "حت وعرت (أفاريس) في شرق الدلتا والإمارة الطيبة والتي تمتعت نسبيا بنوع من الاستقلالية ومقرها طيبة في صعيد مصر ويمكن القول بصفة عامة أن السيطرة الهكسوسية لم تكن ناجمة عن غزو خارجي مفاجئ ، وعن طريق جيش آسيوي الأصل ، بل كان راجعا في المقام الأول إلى تلك التسلات البشرية إلى داخل الدلتا خلال قرة الانهيار التدريجي في أواخر عصر الدولة الوسطي² ، ومن مجموعات بشرية آسيوية عدة سامية الأصل والتي انتشرت مجموعاتها بعد ذلك في شرق الدلتا بصفة خاصة ولقد تعددت المصادر التي تناولت بالإشارة الهكسوس ، ولعل من أما ما أورده تقرير يوسفوس نقلا عن تاريخ مانيتون ونص سبوس وقد عكست نصوص مانيتون وصفا لأحداث هجرة الهكسوس إلى مصر ورد بها ما يلي

"في عهد توتيمايوس لسبب لا اعرفه حلت بنا ضربة من الله، وفجأة تقدم في ثقة بالنصر غزاة من جهة الشرق من أصل مجهول إلى أرضنا ، واستطاعوا بقوة أن يملكوها في سهولة في ضربة واحدة ، ولما تغلبوا عليه ركام الأرض احرقوا مدننا بغير رحمة، وهدموا معابد الآلهة من أساسها ، وعاملوا المواطنين بعدوان قاسي، ففجحوا بعضهم وساقوا زوجات آخرين مع أطفالهم إلى العبودية. وأخيرا

¹ -أحمد سليم أمين، المرجع السابق، ص130

² - علاء الدين عبد المحسن شاهين ، المرجع السابق، ص101

عينوا من بينهم ملكا يدعي سالييتيس اتخذ من منف عاصمة له، وفرض الضرائب على الدلتا والصعيد أما أجناسهم فقد أطلق عليها الهكسوس بمعنى ملوك الرعاة ، وإذ أن كلمة همك تعني في اللغة المقدسة ملك ، وكلمة سوس تعني في اللغة العامة راعي" ويشير نص الملكة حتشبسوت في معبدها الصخري في اصطبل عنتر بمحافظة المنيا إلى الدور الذي لعبته حال توليها السلطة :

" لقد اقامت ما كان تداعي ، وكذلك ما كان قد تخدم في الوقت الذي كان فيه الآسيويون يحكون اواريس¹ في الشمال وكانوا بحافلهم المتجولة يعيشون بين الناس فسادا محطمين ما كان قائما. انهم كانوا يحكمون دون (اعتراف بسلطان) رع ، كان رع لا تنفذ له ارادة الإلهي حتى جاء عهدي العظيم.

المبحث الثاني: تحرير مصر من الهكسوس

-التعريف للهكسوس (1730 - 1080 ق.م)

معنى كلمة هكسوس : أطلق على هؤلاء الغاصبين اسم الهكسوس“ ، وهي كلمة ترحمها أحد المؤرخين القدماء بملوك الرعاة ، فقال إن ”هك معناها في اللغة الدينية المصرية القديمة ملك و” سوس“ معناها في اللغة الدارجة رعاة ، وقد خالف كثير من المؤرخين هذا التفسير وقرروا أن كلمة سوس مشتقة من كلمة مصرية قديمة معناها البلاد الأجنبية²، وعلى هذا قالوا إن ”هكسوس“ معناها ”حكام البلاد الأجنبية، وهو تفسير يطابق ما كان معروفا منذ الأسرة الثانية عشرة ، حين أطلق هذا الاسم على رؤساء القبائل الآسيوية ، الذين كانوا يفدون إلى مصر بين حين وآخر لتقديم الهدايا الأمراء بني حسن الأقوياء ، كما أسلفنا .

1- اواريس أو أفاريس :تحريف للكلمة المصرية "حت -وعرت" مدينة قديمة وعاصمة الهيكسوس (1720-1570 ق م)

2- سيف الدين إيليا هيم وآخرون : مصر في العصور القديمة ، تر :محمد شفيق غربال، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص82

1- أصل الهكسوس : ولا نعرف بالضبط من هم هؤلاء الهكسوس ، وقد قيل إنهم إما من أصل عربي أو من أصل فينيقي ، والأرجح كما يتضح من أسماء ملوكهم ، أنهم خليط من شعوب آرية وأخرى سامية عربية .

2- أسباب إغارتهم على مصر : وفد الهكسوس على مصر من آسيا نتيجة لزحف الشعوب الآرية من وطنها الأصلي على الأراضي الواقعة شرق بحر قزوين ، وقد بدأ هذا الزحف في الألف الثاني ق. م. واهتزت له أمم الشرق القديمة ، فدفعت بعض شعوبها نحو وادي النيل، الذي كانت حال سكانه حينئذ أكبر مشجع.

3- أسباب انتصارهم : وقف الهكسوس أمام أعداء ضعاف مزقتهم الفوضى، وفوق ذلك كان المغيرون يفوقون المصريين حربيا من حيث العدد والعدد ، فقد استعملوا في حربهم الخيل والعجلات الحربية والسيوف المصنوعة من البرونز، واستطاعوا بهذه الوسائل أن ينشروا الذعر في صفوف المشاة المصريين و يهزموهم¹.

استمر حكم الهكسوس المصر زهاء قرن، ونصف ثم تولى « كامس»، ابن « سنقرع » وخليفته ، الكفاح من أجل الحرية ضد الغزاة الأجانب. فبينما كان الأخيرون يحتلون الجزء الشمالي من مصر استطاعت الدولة المصرية في الجنوب أن تدعم نفسها وتجمع القوة الكافية لطرد العدو وإعادة توحيد البلاد الممزقة. وقد كان من اللازم أولا كسب تأييد نبلاء مصر العليا لهذا المشروع²، فاستدعاهم الملك، كما يقول مصدر وثيق، إلى قصره في طيبة وخاطبهم قائلا : « ما معنى إحساسي بقوتي عندما أجد أميرة في « أواريس » وآخر في كوش بينما أنا جالس أصل هذا الاسيوى بذلك النوبى ؟ إن كلا منها يحكم جزءا من مصر ويشاركاني في البلاد .. إنني أنوي أن أهاجمه وأبقر بطنه ، ورجبتى هي أن أنقذ مصر وأمزق الآسيوي ». ولكن النبلاء، على أية حال،

¹ - سيف الدين إيلاهيم وآخرون، المرجع السابق، ص83

² - سيل شتيروف :عندما حكمت مصر الشرق، ترجمة: محمد العزب موسى، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992، ص47

لم يستجيبوا فوراً لهذا النداء من الملك فإن العدو على الأقل لم يغز منطقته في البلاد، ففي الجنوب كانت قلعة الحدود في إيفانتين تشكل خط دفاع قوية ضد النوبة بينما أواسط البلاد تابعة لمصر حتى قوص فقالوا : «إن أحسن حقوقهم تحرث من أجلنا، ومواشينا ترعى في حقول البرد، والعلف يرسل لخنازيرنا ، ومواشينا لا تطرد من أماكنها .. إنه (ملك الهكسوس) يحكم أرض الآسيويين ولكن مصر لنا، فإذا جاء وهاجما سوف نتعامل معه ! هذا الرد أغضب الملك، فصرف مجلس النبلاء، قائلاً : « إنني مصمم على قتال الآسيويين، النجاح سوف يأتي .. والأرض كلها .. سوف يتحدثون عني في طيبة باعتباري «كامس حامى مصر».

هكذا تقدم «كامس» إلى الحرب ، وتستمر القصة بكلماته : « أبحرت أسفل النهر بقوة لأطرد الآسيويين طبقاً لمشيئة آمون صادق النصيحة ، وكان جى شى الشجاع يتقدم أمامي كالشعلة الملتهبة » وفي نفروسي¹، وهي مدينة في مصر الوسطى، وقعت معركة مع كتيبة هكسوسية². « ومنعته من الهرب وطردت الآسيويين.. وقضيت الليل في سفيني وقلبي مبتهج، وعند انبثاق الفجر انقضضت عليه كالصقر، وما أن حلت ساعة الإفطار حتى كنت قد طردته ، وحطمت أسواره ، وذبحت شعبه، وأرسلت زوجته (كأسيرة) إلى ضفة النهر، وكان جنودى مثل الأسود الذين يهاجمون ضحاياهم ، ويستولون على عبيدهم ومواشيهم وزبوتهم وعسلهم، ويقتسمون ممتلكاتهم بقلوب فرحة » ، ولكن يمكننا أن نفترض أن « كامس » نجح في إجبار العدو على الانسحاب من المدن التابعة لمصر العليا وأنه استولى على ميف، وأجبر الهكسوس على الانسحاب إلى شرق الدلتا حيث دعموا أنفسهم في عاصمتهم الحصينة « أواريس»، وهناك دارت المعركة الحاسمة التي من المحتمل أن «كامس» لم يعيش ليرآها ، فقد اختطفه أيضاً الموت المبكر، وبني على أخيه الأصغر «أحمس» الذي خلفه أن يتم النصر، ويطرد الهكسوس مرة واحدة وإلى الأبد من البلاد .

¹-نفروسي، المدينة التي موقعها شمال مدن العصر الحديث الأشمونين والقوصية من معروف لكونه موقع معركة نفروسي بين

قوى كاموس والهكسوس

²- سيل شتيروف، المرجع السابق، ص47

ونحن نعرف بقية الأحداث التالية للحرب الطويلة من سيرة حياة قبطان سفينته الذي يحمل أيضا اسم «أحمس» والذي سجل خدماته للبيت الملكي على جدران مقبرته في الكاب (نخب). فعندما كان أحمس هذا صغيرة نسبية التحق بالخدمة العسكرية في قوات الملك «أحمس» وبعد أن تزوج ترقى للخدمة في «السفينة الشمالية». وكلما كان الملك يخرج راكبا عجلته العسكرية كان «أحمس» يرافقه سيرا على الأقدام، وهو يكتب عن مغامراته في الحرب ضد الهكسوس فيقول: «عندما حاصر الملك مدينة أواريس حاربت بشجاعة على قدمي في حضور جلالته، وارتقيت بعد ذلك للخدمة في سفينة «أفق منف». وبينما هو يشغل هذه الوظيفة اشترك المحارب الصغير في معركة طويلة صاحبت حصار عاصمة الهكسوس إلى جانب النهر. ومرة أخرى اشتهر بأعمال الشجاعة وأخذ غنيمة وفيرة وذبح أحد الأعداء وقطع يده وأخذها معه كدليل على الانتصار طبقا للعادة المصرية، وكافأه الملك على هذا العمل بوسام عسكري يسمى «النوط الذهبي للشجاعة». وفي عملية تالية أظهر «أحمس» مزيدا من الشجاعة، فسبح إلى ضفة الأعداء وأخذ أسيرة محاربة حملة معه إلى الجانب المصري من النهر تحت مرأى العدو. وهذه المغامرة كافأه الملك عليها بمنحه النوط الذهبي مرة أخرى، واستسلمت أواريس في النهاية وعندما اندفعت القوات المصرية في المدينة المأسورة النهب ثرواتها أسر «أحمس» أربعة أسرى آخرين - رجلا وثلاثة نساء - منحهم له الملك عبيد.

أما حسب الآثار فقد صور جزء من نهاية الهكسوس قائد من جيش أحمس يدعى أحمس بن أبانا وأبين¹ هو أحد قادة البحرية، وبسقوط أواريس فقد الهكسوس معقلهم القوي الأخير في مصر واضطرت قواتهم المسلحة للانسحاب إلى سوريا حيث وجدت ترحيبا من اتحاد أمراء ساميين. ولكن الملك «أحمس» لم يضع وقتا في مطاردهم على رأس جيشه المظفر²، فقد كان مصممة

¹ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 68

² - سيل شتيروف، المرجع السابق، ص 49

على إحباط أي محاولة من الآسيويين لتجديد هجومهم على مصر منذ البداية ، فسار عبر الصحراء إلى سوريا وحاصر مدينة «شار وحين» في جنوب فلسطين حيث كان قد استقر جزء كبير من لاجئي الهكسوس وحصنوا أنفسهم. ويحكي القائد أحمس : « حاصر الملك شار وهين لمدة ثلاث سنوات، ثم احتلها جلالته، ونلت من الغنيمة امرأتين ورجلا، ومنحني الملك وسام النوط الذهبي للشجاعة مرة ثالثة وسمح لي بأخذ الغنيمة كعبيد ».

هكذا أكمل الملك « أحس » المهمة التي بدأها أخوه، فطرد الهكسوس من البلاد وتخلصت مصر من « الوباء» وتوحدت مرة أخرى تحت حاكم واحد. المهمة التالية التي كانت تنتظر الفرعون الظافر أن يغزو النوبة التي انفصلت عن الإمبراطورية المصرية خلال سيطرة الآسيويين على البلاد، وقدم القائد أحمس المساعدة لسيده الملكي في هذه الحرب أيضاً : « بعد أن ذبح جلالته «المنتيو الآسيويين» رأي الهكسوس اتجه جنوبا إلى النوبة ليسحق قبائل الصحراء النوبية وأوقع جلالته مذبحاً عظيمة بينهم

وعاد الملك «أحمس» إلى مصر منتصرة « وقلبه مبتهج بالشهامة والنصر بعد أن تغلب على الجنوبيين والشمالين »¹.

رأى «أحمس» في وجود قوات الهكسوس على مقربة من حدود مصر، تهديدا مستمرا، ومن ثم قرر أن يطاردتهم إلى ما هو أبعد من ذلك كي يظفر بنصر نهائي حاسم، ويذكر النص أيضاً أن معارك دارت برا وبحرا ويفهم منه أيضا أنهم استولوا أولا على منف ثم اتجهوا إلى أوار يسرف اقتحم وعنوة ودمروها واسروا واجبروا غالبية أهلها على الفرار ثم تتبعوهم عبر سيناء إلى أن تم حصارهم في مدينة شاروهين² وفي النهاية قاموا بالاستيلاء على المدينة وتدميرها في سنة 1535 ق.م، وكتب

¹-طبوزدة يوسف زكية :تاريخ مصر القديمة، مر :محمد إبراهيم عمي، القاهرة،2008،ص32

²-شاروهين تقع في صحراء نقب بالقرب من بئر السبع (تل فرعة الحالية).

«أحمس بن أبانا»، قائلا: «حوصرت شاروهن لما يربو على ثلاث سنوات، ثم قام جلالته بنهبها، وجلبت معي الغنائم من هناك، امرأتين ونوتيا، وعندئذ أنعم على بذهب الشجاعة، ومنحت هذه الغنيمة خدما لي». ثم قام بمزيد من الحملات شمالا إلى سوريا، ربما لمطاردة فلول جيش الهكسوس. وللمرة الأولى فيما يربو على مائة عام، تتوحد مصر الآن في ظل كم ملك قوى، ويسجل المؤرخون في فترة لاحقة تغييرا في الأسرة الحاكمة في ذلك الوقت، وبذا كان أحمس واضع الحجر الأول في بناء الإمبراطورية المصرية الشامخ، الذي أتمه أخلافه ملوك الأسرة 18¹.

المبحث الثالث: ملوك الأسرة الثامنة عشرة

وامتدت الأسرة الثامنة عشرة أو أسرة "أحمس" طوال قرنين ونصف قرن على وجه التقريب، تعاقب خلالها أربعة عشر فرعوناً وكانوا على التوالي:²

- 1-أحمس الأول، نب بجتي رع
- 2-أمنحوتب الأول، جسر كا رع
- 3-ت3حوتمس الأول، عا خبر كا رع
- 4-تحوتمس الثاني، عا خبر إن رع (1992 – 1479 ق.م)
- 5-تحوتمس الثالث، من خبر رع (1979 – 1425 ق.م)
- 6-حتشبسوت، ماعت كا رع (1973 – 1458 ق.م)
- 7-أمنحوتب الثاني، عا خبرو رع (1927 – 1400 ق.م)
- 8-تحوتمس الرابع، من خبرو رع (1900 – 1390 ق.م)
- 9-أمنحوتب الثالث، نب ماعت رع (1390 – 1352 ق.م)
- 10-أمنحوتب الرابع، نفر خبرو رع وع إن رع ("أخناتون") (1352 – 1339 ق.م)

¹ -عبد حليم سالم، الحضارة المصرية في العصور القديمة، مطبعة صلاح الدين، الاسكندرية، 1934، ص72

² - طبوزدة يوسف زكية: المرجع السابق، ص41

11- نفر نفرو آتون، سمنخ كا رع

12- توت عنخ - آمون، نب خبرو رع

13- أي، خبر خبرو رع

14- حور إم حب، جسر خبرو ر (1290 - 1334 ق.م)

ملوك الأسرة الثامنة عشرة اللذين تولوا الحكم بعد "توت عنخ آمون" ولم يكونا من دم ملك

الملك أحمس الأول : (1070 - 1546 ق.م.)

توفى كامس، بعد حكم قصير، فتولى بعده الملك أحمس الأول، وهو في الغالب أخيه، وقد اعتبره المؤرخ المصري القديم مانيتون، أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وكان حكمه في أول الأمر مقصورا على الوجه القبلي بإقليم طيبة، ويبدو أنه مارس نفس السياسة التي سار عليها اجداده من الأسرة السابعة عشرة نحو تحصين طيبة واستمالة الأقاليم القريبة منها، وتأمين الحدود الجنوبية، وأحكام السيطرة على طرق الواحات، ثم بدا في استكمال الجهاد لطرد الهكسوس من أرض الكنانة، ثم استكمل مسيرة الجهاد والتحرير بمهاجمة عاصمة الهكسوس آواريس¹ في الشمال الشرقي، وبعد حصار دام حوالى الثلاث سنوات سقطت العاصمة في ايدي المصريين مما يشير على شدة تحصينها وعزيمة أحمس وجنوده في تحقيق النصر وطرد الهكسوس من آخر معاقلهم في مصر. ثم جاءت الأنباء أنهم ذهبوا إلى حصن لهم في منطقة شار وهين» تل فرعة الحالية، ليستكملوا فيه عدتهم وعتادهم، ومعاودة الهجوم على مصر آملين في احتلالها من جديد، غير أن «أحمس الأول، فطن إلى ذلك فخرج على رأس جيشه للقضاء على هذا العدو اللعين الذي تحصن في هذا الموقع، لكن ارادة أحمس وجنوده حققت النصر بعد حصار دام ثلاث سنوات، واستمر في تشتيتهم داخل سوريا ولم نسمع عنهم مرة أخرى في التاريخ القديم بعد تلك الضربة القاصمة.

¹ -برستد جيمس نيجوي : تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ، تر.: حسين كمال ، مكتبة مدبولي،

القاهرة، 1996، ص، 146

حيث يتحدث القائد الأول وأحمس بن إيانا» بأنه بدا شبابه جنديا صغيرا ولكنه أظهر كفايته في المعارك التي خاضها، وظل محافظا على تلك الشجاعة حتى ترقيته إلى رتبة القائد البحري، وذكر أنه اشترك مع الملك أحمس، في محاصرة عاصمة الهكسوس حيث دارت موقعة بحرية بين القوات المصرية وقوات العدو بالقرب من قناة جنوبي العاصمة آواريس تسمى بزركه حيث كان النصر حليفه هو والملك وأحمس، وكوفئ ابن إيانا، ينشان الشجاعة الذهبي، كذلك تشير نصوص القائد المصري و أحمس بن نخبت، إلى مصاحبته للفرعون و أحمسه نى حملته إلى وجاهى، لمتابعة فلول الهكسوس الموجودة هناك، وتأكيد ظهور قوة مصر العسكرية في تلك الأنحاء، بعد ذلك وجه أحمس الأول، جهوده نحو النوبة لتأكيد سيادة مصر علي الأجزاء الجنوبية - من حدودها، لتبدا البلاد مع عهده عهدا جديدا من التحرر، جعل المؤرخون يبدأون به الأسرة الثامنة عشر او مسمى بعصر الإمبراطورية او عصر الدولة الحديثة الذي شمل الأسرات من الثامنة عشرة إلى الأسرة العشرين.¹

الملك تحتمس الأول: (1030 - 1020 ق.م)

توفي أمنتب الأول عام 1930 ق م دون أن يترك وريثا له من الذكور حيث إنه لم ينجب من زوجته الشرعية غير إناث وفيما يبدو كان للإناث حق الجلوس على عرش أبيهن ، بشرط ألا يحكمن بمفردهن لذلك فقد آل العرش إلى ابن غير شرعي ، من زوجة ثانوية ، هو الذي ارتقى العرش تحت اسم تحوتمس الأول ، وبعضهم يرى أنه أغتصب العرش.²

كان تحوتمس رجلا يبلغ من العمر خمسة وأربعين عاما. ولكي يدعم مركزه ويكتسب الحقوق الشرعية للجلوس على العرش ، يقال أنه تزوج من التي كانت تحمل لقب الأخت و التي كانت تدعى أحمس - . حتب تحو .

1- سعد الله محمد عمي :تاريخ مصر القديمة، جامعة الزقازيق، مركز الإسكندرية لكتاب،الاسكندرية،2001،ص240

2-رمضان عبده ،تاريخ مصر القديمة ج2،دار النهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة،القاهرة،2001،ص84

فقد ذهب الملك أحمس إلى آسيا متتبعا الهكسوس ونجح في طردهم ، والآن بعد حكم أمنحتب الأول الهادئ نجد أن الملك الجديد كان راغبا في أن يقود جيشه المعد أعدادا جيدا من المصريين وقبائل الجمار إلى خارج الحدود المصرية إلى آسيا.

وهذا الاتجاه التدخل في آسيا و الاتصال ببلاد الشرق القديم ، وكان يرجع إلى الرغبة في الانتقام ومحو الآثار المعنوية للغزو الذي تعرضت له البلاد عن طريق شعوب وقبائل جاءت أصلا من الشرق ، وابتداء من هذه الفترة أصبحت مصر إحدى القوى العسكرية الكبرى في الشرق القديم ، وتمتعت بفترة مجيدة نتيجة للانتصارات التي أحرزتها ، وتتميز الأسرة الثامنة عشرة بالنجاح في السياسة الخارجية وتحقيق سياسة التوسع وتكوين تحالفات خارجية ومناطق نفوذ جديدة¹.

يعد تحوتمس الأول هو - أول من وضع اللبنة الأولى في أساس هذه السياسة الجديدة. وربما أيضا كان سببا في نجاحها واستمرارها لفترة ما . حيث قام تحوتمس الأول يخاطب رعيته وهذا *مرسومي إليكم ينبئكم بأن جلالتي تبوأ عرش هورس الحي وإنه لامثالي لي إلى الأبد. أنا صاحب الجلالة ملك الأرضين ، أنا الملك الأعظم ملك مصر العليا و السفلى ، قوموا إذا بتقديم القربان إلى الآلهة ، ورتلوا الأناشيد إلهي تباركوا الملاك وخذوا أيمانكم من الآن باسم جلالتي. وقد بدأ نحو تمس الأول سياسته العسكرية بحملة ضد الجنوب . وبفضلها مد حدود مصر الجنوبية حتى تومبوس² التي تبعد قليلا عن الجندل الثالث . "لقد أخضع رئيس النوبيين ، وقبض بيده على الزوج الحاسئين ، وربط حدوده على ضفتي نهر النيل ، حتى أنه لم يكن يوجد رجل واحد بين الشعوب ذوات الشعر القصيرة قادر على مهاجمته لأنه لم ينج أحد من كل هؤلاء الذين حاولوا مهاجمته من قبل . ولم تجرؤ أية قبيلة معادية على التقدم أمام قلعة الحدود لأن مجد جلالته قد ابهرهم. لقد مد جلالته سيطرته على حدود الأرض وحكم جلالته كل القطرين ، وكان سلاحه قويا في يده ، يدعو إلى القتال ، وهكذا نجح في إعادة الهدوء وضم كل بلاد النوبة جنوبا حتى "

¹ - رمضان عبده، المرجع السابق، ص85

² - تومبوس : هي جزيرة تقع جنوب الشلال الثالث .

أبو حمد " الحالية في جرجوس . وجعل المنطقة ابتداء من الكاب شمالي إدفو حتى آخر حدوده في النوبة السفلى وحدة واحدة يحكمها موظف أطلق عليه " الابن الملكي (حاكم) كوش وأثناء الفترة الباقية من حكمة التي دامت أقل من ثلاثة عشر عاما ، نجد أن الملك خصص وقته لكي يجعل من مصر بلدا آمنا مستقرا مزدهرا لذلك لجأ إلى تحقيق الكثير من المشروعات المعمارية.

الملك تحوتمس الثالث:

لما انفرد تحوتمس الثالث بعرش مصر ، بعد موت حاحشيسوت، عزم على القضاء على تمرد الأمراء قضاء تاما ، و توسع ملكه و سلطانه في فلسطين استولى تحوتمس في حملته الأولى على مجدو ، أما قادش فلم يأخذها إلا بعد أن بعث خمس حملات أخرى ، وفي الحملة الثامنة¹، بلغ نهر الفرات ، وهزم جيشا ميتانيا عند مدينة قرقيش ، وأقام ، على الشاطئ الغربي لذلك النهر العظيم ، لوحة تذكارية إلى جانب اللوحة التي تركها أبوه تحوتمس الأول . ولم يكتف تحوتمس الثالث بهذه الحملات الثمانية، بل أرسل تسع حملات أخرى كي يثبت دعائم فتوحه ، ويبعث الرعب في قلوب الشعوب المجاورة. وفعلا أرسل إليه ملوك با بل الهدايا الثمينة إظهارا لولائهم ، وكذلك فعل الحثيون ، وهم سكان مملكة خيتا ، فيما وراء جبال طوروس، وأرسلت جزيرة قبرص والجزائر اليونانية.

أسباب انتصار تحوتمس الثالث :

واشتهر إسم تحوتمس الثالث كقائد حربي من الطراز الأول، رأيناه يضع الخطط و ينفذها ويلجأ إلى أساليب جديدة في القتال² ، لم يكلف أحدا من رجاله القيام بعمل صعب ، فكان يتقدم هو الصفوف ، وكان إدارية ممتازا فقد وصفه وزيره رخ مي رع أنه كالصقر الذي يري ما لا يبصره البشر العادي، واتصفت حملاته بلون آخر ، فإلى جوار الكتاب العسكريين والفنانين والرسامين الذين كان يصطحبهم معه ، فقد أخذ في ركابه بعض علماء الحيوان والنبات الذين احضروا

¹ - سيف الدين إبراهيم وآخرون، المرجع السابق، ص92

² - أحمد فخري، مصر الفرعونية، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2012، ص227

بعضها إلى مصر،¹ وكان جيش تحوتمس رهن إشارته ، وعلى استعداد تام للزحف أينما أراد ، كما كانت موانئ الساحل الفينيقي مزودة بالمعدات والذخيرة ، منذ أخضعها بأسطوله الضخم في غزوته الخامسة ، ولهذا كان من السهل عليه أن يتزل العقاب السريع بكل من حاول عصيانه .

آثار تحوتمس الثالث : وقد دون تحوتمس أخبار حروبه وانتصاراته على جدران معبد الكرنك ، الذي زاد في بنائه. كذلك أقام في عين شمس مسلتين نقلتهما كلوپترة فيما بعد إلى الإسكندرية ، فاشتهرتا بمسلاقي كليوباترة ، كما لم يكن تحوتمس الثالث قائدا حربيا عظيما فحسب، بل كان كذلك سياسيا بعيد النظر، فسمح للشعوب الشمالية المتمدينة بالاحتفاظ بحكامها، على أن يكونوا آبائهم له ، وليربيهم في كلية الأمراء، التي أنشأها في مدينة طيبة ، و يغرس في قلوبهم حب مصر ، حتى إذا آل إليهم حكم بلادهم ، بعد موت آبائهم ، عادوا إليها وتسابقوا في خدمة فرعون ، وأصبحوا من أتباعه المخلصين ، يدفعون له الضرائب و يتطلعون إليه ليحميهم من الأعداء .

نتائج أعماله : هكذا شيد تحوتمس الثالث الإمبراطورية المصرية وأقامها على أساس متين ، واقتدى به الفراعنة ، الذين تولوا الحكم من بعده ، فاتبعوا هذا النظام طول أيام الإمبراطورية ، و بهذا قضت مصر على الفتن والثورات والمؤامرات التي هددتها حيناً من الدهر ، كما مدت يد المعونة لأتباعها المخلصين .

الملك أمنحوتب الثالث:

أحد ملوك الأسرة 18 خلف تحتمس الرابع على عرش مصر ابنه الملك امنحوتب الثالث² كان عهده عهد سلام طويل ، فقد حكم نحو ستة وثلاثين عاما ، نعم فيها بما أكسبته لمصر غزوات أسلافه ، وخاصة «تحوتمس الثالث» ، من مركز وشأن في العالم القديم . وقد تزوج في أوائل حكمه من « تي » ، وكانت الملكة «تي» شخصية قوية وشأنها الكبير في الحياة الرسمية ، وكثيرا ما كانت تظهر إلى جانب زوجها الملوك في المناسبات المختلفة ، وكان اسمها يقرن إلى اسمه

¹-سيف الدين إبراهيم وآخرون، المرجع السابق، ص96

²-سمير أديب، المرجع السابق، ص192

على المستندات والمكتابات الرسمية ، وكان ذلك بداية ظهور الملكات¹ بشكل واضح قوى وفي السنة الخامسة من حكمه أحمد « أمنحوتب الثالث » ثورة في بلاد النوبة ، وكانت آخر الحملات الهامة في هذه البلاد ، اذ اصطبغ الجزء الشمالي منها حتى الشلال الثاني بصبغة مصرية قوية ، ومنه انتشرت الحضارة المصرية حتى الشلال الرابع . وقد أقيمت في معظم البلدان المعابد المصرية حيث تعيد الآلهة المصرية ، وتعلم الصناع النوبيون الصناعات والفنون المصرية .

وفي آسيا وشرق البحر الأبيض المتوسط كان لأمنحوتب الثالث مركز السيادة بين ملوك الشرق القديم ، وكان كل منهم يحرص على أن ينال صداقته، وهو ما تكشف عنه رسائل « تل العمارنة»، التي كشف عنها في دار محفوظات ابنه الملك « أمنحوتب الرابع » (أخناتون) ، مكتوبة على الصلصال باللغة البابلية ، وقد تبادلها « أمنحوتب الثالث » و « أمنحوتب الرابع » (أخناتون) مع ملوك بابل وأشور وميثاني وخيتا ، ومع أمراء فلسطين وسوريا وقبرص . ولهذه الرسائل أهمية بالغة ، إذ تكشف عن العلاقات الدبلوماسية بين أم الشرق في ذلك الوقت.

وتدعمت صلات الصداقة بين مصر وجيرانها بزواج « أمنحوتب الثالث » من ابنة « كاداشمان انليل » ، ملك بابل ، ثم من « جيلوغيا » ابنة « شوتارنا ملك ميثاني ، وكان يتولى حكم بعض ولايات مصر في فلسطين وسوريا الأمراء الذين تعلموا في مصر فكانوا لها أتباعة مخلصين يقومون بالأمر باسمها ، وينفذون سياستها ، ويبلغون الملاك أخبار ولاياتهم . وما يدبره بعض العصاة من الخروج على طاعته حتى إنه كان يعهد إلى بعضهم بمحاربة الثوار . على أن « أمنحوتب الثالث » ترك الأمور تجري في أعينها في سوريا دون أن يقوم إليها على رأس جيشه مما ساعد على ازدياد قوة الحيتين حتى أصبحوا أعظم خطر على مصر² .

الملك أمنحوتب الرابع أخناتون: نفر خبرو رع واع إن رع 1302 - 1339 ق.م

1- ابراهيم رزقانة وآخرون : حضارة مصر والشرق الأدنى القديم ، دار مصر للطباعة، ص202

2- ابراهيم رزقانة وآخرون، المرجع السابق، ص208

و هو "أمنحوتب" الابن الثاني ل "أمنحوتب" الثالث والملكة "تي". وبما أنه لم يكن الابن البكر لأبيه لذا لم يحصل الأمير الشاب على التربية التقليدية لولي العهد والتي كانت، منذ تحوتمس الثالث، تربية مبكرة دينية ولم يصبح في سن الشباب يحصل علي التدريبات العسكرية والرياضية التي تؤهله لقيادة مصر والإمبراطورية¹. هكذا ترك الأمير الشاب على هواه فاتبع قلبه وأمن وتحمس لأتون، القوة الكامنة في قرص الشمس، القوة التي لا نراها ولكن نشعر وندرك عظيم أثرها وتأثيرها في استمرارية الحياة،تولى "أمنحوتب" الرابع العرش وكان شديد التعصب لعبادة الشمس، فقد نشأ واعتنق أفكار أبيه وحاول في البداية أن ينتهج سياسته، فاتخذ طيبة عاصمة لمملكته ولم يبادر كهنة آمون بالعدوان. فبالرغم من أنه أعلن صراحة اعتناقه لمذهب الشمس وجعل من آتون الذي يعبر عن القوة الكامنة في قرص الشمس إلهه المفضل إلا أنه احترام جميع الآلهة.

اهتم أخناتون "بعبادة إله آتون ولكنه لم يهمل شؤون مصر الداخلية إهمالا تاما، فمن الناحية الإدارية احتفظ الملك في البداية بكبار موظفي الدولة الذين خدموا أبيه أمنحوتب "الثالث ثم اعتنقوا ديانة آتون في عهده مثل: الوزير "رع مس" أو "رع موزا" الذي خدم أمنحوتب " وولده أخناتون "بإخلاص، وفيما بعد استمر الملك يطبق سياسة أبيه في اختياره لكبار الإداريين من طبقة النبلاء، لمس فيهم الإخلاص له من خلال اعتقادهم في آتون. وكان بعضهم في الحقيقة شديد الوفاء للملك مثل قائد الشرطة تمحو "الذي أنقذ" أخناتون "من مؤامرة كادت تؤدي بحياته، ولم يكن اخناتون من الملوك المحاربين فبدأت الولايات واحدة واحدة تنفصل عن حكم مصر وتتداعي أركان الإمبراطورية التي أقامها أجداده المحاربين وتنهار ، وقام بتشيد عاصمة جديدة له ولعائلته ولأتباعه وأطلق عليها "أفق آتون" وهي المدينة المعروفة حالية بتل العمارنة علي البر الشرقي للنيل بالقرب من ملوي².

كما اهتم أخناتون "بترميم وإصلاح آثار أسلافه فأخذت البعثات تجوب أنحاء مصر، الترمم وتعيد بناء ما تهدم من آثار الأجداد.

¹ - طبوزدة يوسف زكية: المرجع السابق، ص93

² -توفيق سيد ،معالم تاريخ وحضارة مصر،دار النهضة العربية ،القاهرة ،1987،ص201

الملك توت عنخ آمون: نب خيرو رع 1334 - 1327 ق.م

تولى "توت عنخ آمون" عرش مصر خلفاً لأبيه؟ "أخناتون" ولما كان لا يزال صغيراً، لا يزيد عمره على الأرجح، عن تسع سنوات. بدأ الملك حكمه باسم "توت عنخ آتون" وتزوج في بداية عهده من الابنة الثالثة ل أخناتون و "نفرتي" ، الأميرة " إن با آتون " ¹.

واستمر "توت عنخ آتون" يحكم مصر من "أخت آتون" مدة ثلاث سنوات، أنتقل بعدها إلى طيبة وغير اسمه إلى "توت عنخ آمون"، أي "صورة آمون الحية" بدلاً من "صورة آتون الحية"، كما غيرت الملكة أيضاً اسمها إلى "عنخس إن با آمون". وكان هذا بمثابة الارتداد الرسمي عن آتون والعودة إلى عبادة آمون وبذلك انتصارات الرجعية ولصغر سن الملك كان الكاهن والرجل "أي"، الذي ظهر في "أخت آتون" وكان أحد رجاله المقربين الأقوياء، بمثابة الوصي على العرش، ومما لا شك فيه أن "توت عنخ آمون" لم يكن قادراً وحده على مواجهة الأمور بل عاونه في هذا "أي" الكاهن الكهل، والقائد "حور إم حب" اللذان سيجوليان الحكم تباعاً بعد وفاته المبكرة، وكانا القوة المحركة لسياسة مصر أثناء حكمه، يبدو أن "توت عنخ آتون" تأثر للغاية بالخال "أخناتون"، "أي" وهو الرجل الذي كان أخاً للملكة تي والذي ربما كان ولد نفرتي. وكان ناجحاً في عمله خلال الحكم "أخناتون" ².

ومهما كان من أمر الحاكم الحقيقي في هذه الفترة إلا أن عصر هذا الملك الشاب كان يتميز بميله الخفي لعبادة آتون. أما الارتداد الرسمي عن عبادة الإله الواحد آتون والعودة إلى آمون إنما يرجع إلى العام الرابع من حكمه. ورغم هذا رفض "توت عنخ آمون" الإقامة في طيبة وبني لنفسه قصراً في مدينة منف حيث أقام فيه هو وزوجته، وبذلك جعل من تلك المدينة الشمالية القديمة، مقراً له.

¹ - طبوزة يوسف زكية: المرجع السابق، ص 105

² - قادة مصر الفرعونية أخناتون وتوت عنخ آمون، مكتبة المهتدين للإسلامية، 2007، القاهرة، ص 78

اهتم توت عنخ آمون¹ بإظهار رعايته لأمون¹، وأمر بإصلاح ما أهمل من معابد، كما بني بعض الإضافات المعمارية باسمه في معبدي الأقصر والكرنك. ولكن أتون لم يهمل في عهده، فبني له في النوبة العليا في منطقة قاوي معبدا أطلق عليه اسم "جم پا آتون" كانت تقام فيه الشعائر الدينية. كما استمرت مزارع العنب في الدلتا تحمل اسم "بهاء آتون" دون أي تغيير فيه. أما "أون" مدينة الشمس القديمة وهليوبوليس الإغريق، فقد عثر في أطلالها على ما يثبت لنا بالدليل القاطع أن الملك شيد فيها عدد من الأبنية. نستطيع أن نقول أن "توت عنخ آمون" الذي كان قد أعلن عودته إلى آمون لم يرتد، في داخله، عن عقيدة آتون. وإذا كان قد حدث تغير في عهده فهو أن أتون أصبح إلها ضمن مجموعة الآلهة المصرية، ولم يعد الإله الأوحد.

وعن عناية الملك بشؤون الإمبراطورية فقد كانت محدودة لقلة سنوات حكمه، فالنوبة لم تكن تشكل أي خطر على المصالح المصرية وكانت هادئة تماما منذ عهد أمنحوتب² الثالث إلا أنه أرسل حملة عسكرية إلى هناك ربما تكون استعراضية أكثر منها للقضاء على تمرد كما تدل عليه قطعة الحجر التي عثر عليها بالكرنك ومحفوظة الآن بالمتحف المصري بالقاهرة، أما فيما يخص آسيا فقد كانت الأمور مضطربة وتهدد نفوذ سلطان مصر وفرعونها الشاب، مما دعي الملك إلى إرسال حملة عسكرية إلى فلسطين بقيادة القائد "حور إم حب"، الذي روت لنا أخبارها مناظر مقبرته بسقارة وصور لنا فيها الأسرى الآسيويين الذين أتي بهم من بنفسه. وظلت سياسية مصر الخارجية² مائعة متدهورة خلال عهود خلفاء اخناتون الأقربين سمنخ كارع وتوت عنخ آمون.

الملك حور إم حب: جسر خبرو رع 1323 - 1290 ق.م

¹ - طبوزدة يوسف زكية: المرجع السابق، ص 106

² - عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج1، مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2012، ص 326

بعد وفاة "أي" آل العرش إلى قائد الجيش "حور إم حب"، وربما كان بقصد إعادة الأمن بقوة السلاح. ورغم أن "حور إم حب" كان رجلا عسكريا، كما توضح مناظر قبره الذي شيده في سقارة ونرى فيه اهتمامه بسيادة مصر على غيرها من الأجانب، ولكننا مع ذلك، لا نملك ما يثبت أنه قام بقيادة الجيوش في حملات لاستعادة أمجاد مصر، بل على العكس من هذا تماما ركز الفرعون الجديد كل جهوده واتخذ من الإجراءات الجريئة لإعادة الأمن والثقة في داخل البلاد.

وتوج "حور إم حب" في طيبة وتزوج، على الأرجح، من إحدى أميرات البيت المالِك القديم وهي الأميرة "موت نجمت" وبهذا اكتسب شرعية الحكم¹.

وبالرغم من أن "حور إم حب" رجل عسكري وقائد له نشاطه الحربي في العصور السابقة إلا أنه وجه جهوده نحو الإصلاح الداخلي فسن القوانين الجديدة التي من شأنها تنظيم البلاد وإعادة الأمن والطمأنينة فخرج علينا بمرسوم قام بوضع نسخة منه في معبد بتاح بمنف ونسخة أخرى في الكرنك. ويهدف هذا المرسوم إلى وضع حد للفوضى التي تفشت في البلاد نتيجة لحالة عدم الاستقرار وحماية أيضا موارد الحكومة.

واهتم الملك بشؤون آسيا فبدلا من أن يخرج بجيوشه فضل أن يعقد معاهدات صلح مع ملك الحيثيين كما عرفنا من وثائق متأخرة، فالمعاهدة التي تمت بين "رمسيس الثاني و الحيثيين تشير إلى معاهدات سابقة ترجع إلى عهده. وهكذا استطاع "حور إم حب" التفرغ إلى الإصلاحات الداخلية. اهتم الملك أيضا بالبناء فشيّد معبدا وصرحين في الكرنك وإضافات في معبد بتاح بمنف، وإصلاحات أخرى في هليوبوليس والدلتا عموما، كما بنى هيكلًا في السلسلة تكريما للإله توت أو تي الإله الراعي للكتابة، فقد كان "حور إم حب" يفخر بأنه على درجة عالية من الثقافة، كما شيّد المعابد في النوبة وترك لنا العديد من التماثيل أهمهم تمثاله في هيئة "الكاتب"

¹-طبودة يوسف زكية، المرجع السابق، ص110

الفصل الثاني

المبحث الأول :طبقات المجتمع

المبحث الثاني :المرأة ومكانتها في مصر القديمة

المبحث الثالث: الوضع القانوني والاجتماعي للمرأة المصرية القديمة

المبحث الرابع:ملكات حاكمات

المبحث الأول: طبقات المجتمع

الطبقة العليا:

وجدت الطبقة العليا في قمة الهرم الاجتماعي لما تمتعت به من سلطة ونفوذ فقد كانت الطبقة العليا تستأثر بمقدرات البلاد وتتمثل في الملك والنبلاء والحاشية الذين كانوا من ذوي الملك وأنسابه ومخلصين له فمن بينهم كان الفرعون يختار الوزراء والكتبة والكهنة والقادة وسائر الموظفين يساعده في حكم البلاد¹، كان على رأس هذه الطبقة فرعون الذي آمن المصريون القدامى ، راغبين أكثر منهم مكرهين ، بأنه اله تكرم وأقام فوق أرض مصر ليحكم الناس بمقتضى الحق الإلهي الموروث ، وليدبر أمورهم وفقا لمشيئة الله، فدانوا لسلطانه في الدنيا وآمنوا باستئنائه في الآخرة ، وكانوا يدعوه الإله الطيب في حياته ، والإله العظيم بعد مماته ، فهو الإله الصقر حور» الذي تجسم في هيئة بشرية . ومن ثم فهو ، في نظر رعاياه ، أله حي في شكل انسان ، يتساوى مع غيره من الإلهة فيما لهم من حقوق ، فله حق الاتصال بهم ، كما له على شعبه ما لغيره من الإلهة من التقديس والمهابة ، وفي الواقع أن هذا أمرا لم تنفرد به مصر بين بلاد العالم ، وإنما هو شيء كان يسود أعمق الدنيا المعروفة في العصور القديمة² ، أو يكاد على أن فرعون رغم هذه المكانة المقدسة التي كان يحتلها ، لم يعيش في برج من عاج ، ولم يعزل نفسه عن شعبه ، بل كان شديد الاتصال به ، ذلك أنه على الرغم من الحقوق التي كان يتمتع بها فرعون ، كان عليه عدة واجبات ، فهو المسئول عن الدفاع عن مصر وحماية حدودها من غارات الشعوب المجاورة والطامعة في خيائها ، ثم يستمع لشكوى الناس ، ويعنى بشئونهم ، ويهتم بمراقبة موظفيه ورعايتهم ، ويجزل العطاء لمن أخلص منهم ، فأحسن وأجاد ، ثم هو يعمل على تأمين وسائل الحياة للمصريين بحفر الترع وإقامة الجسور لتيسير فلاحه الأرض وزراعتها ، كما كان عليه حماية المدن من عائلة الفيضان ، وتشجيع الصناعات والفنانين ، فضلا عن القيام بواجبه نحو الإلهة ، فان أهمل ذلك حق للإلهة ألا تعترف به كواحد منها ، فأما بلاطه فكان مكونا من حاشية كبيرة من عظماء أمته ،

¹ -عبد الستار لبيب، الحضارات، دار المشرق، بيروت، 2008، ص10

² -محمد بيومي مهران ، الحضارة المصرية القديمة ، ج2، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ، 1989، ص 95 -

والمقدمين من أمراء جنده ، وكبار كهنته ، يستشيرهم في أمور دولته ، ويستعين بهم على تبرير شئون شعبة ، وهكذا يبدو واضحاً أن الملكية ، وإن أفاءت على الملك ثوبا من القداسة ، فقد حددت ، في الوقت نفسه ، من سلطانه ، بما فرضت عليه من واجبات ، هذا وقد كان الملك وضع خاص بين رعاياه ، ربما يبعده عن وضع الطبقات التي كان يتكون منها المجتمع المصري ، فقد كان القوم يعتقدون أنه اله ، وليس بشرا ، ورغم ذلك فهناك نصوص ، وإن كانت نادرة ، إلا أنها تكشف في ومضات قصيرة عما كانت تنطوي عليه نفس هذا الإله من مشاعر نبيلة ولمسات إنسانية نحو رعاياه ، تبدو في بعض المناسبات فتومض البرق الخاطف وسط تكاليف الحياة الرسمية الصارمة ، فهناك نبوءة «نفرتي» ، والتي تتحدث عن الملك «سنفرو» على أنه كان ملكا محسنا ، وأنه حين يخاطب أحد رجال رعيته يقول له (يا صاحبي) ، وحين يوجه حديثه إلى أحد رجال بلاطه مخاطبا أيهم بقوله «يا اخواني ثم حين يتزل من عليائه الإلهية ليقوم بعمل كاتب ، فيمد يده الى صندوق مواد الكتابة ويأخذ قرطاسا وقلمًا ومدادا ، ثم يدون ما تحدث به الكاهن المرتل «باست» ، كل ذلك يجعل هذا الفرعون فريدا بين أقرانه .

وأيا ما كان الأمر ، فلقد كانت الطبقة الحاكمة ترتبط بالملك بروابط كثيرة ، ففي النصف الأول من الدولة القديم كان الأمراء يعينون في مناصب الوزارة ، وأكثرهم من أبناء الملك أو من ذوي قرباه ، كما حدثت مصاهرات بين أفراد البيت المالكي وبين أفراد من الشعب ، كما حدث في زواج «بتاح شبسس» من (خع ماعة » ابنة « شبسكاف » ، وزواج « بيبي الأول » من ابنة أمير أبيدوس ، وهكذا فإن وجود أبناء الملك وأقاربه يجعل الخط الفاصل بين الملك والطبقات الأخرى غير واضح المعالم ، ولكن من ناحية أخرى ، فقد كانت الطبقة الحاكمة بمثابة همزة الوصل بين الملك ورعيته ، وأنها تمكنت من احتلال المناصب الكبيرة ، ثم المحمول على امتيازات كانت من قبل وقفا على الملوك دون سواهم¹ .

وقد ازداد نفوذ و ثروات هذه الطبقة العليا المتميزة التي كانت تتباهى دائما بقرب أعضائها من فرعون و حول هذه الطبقة دارت الأنشطة الاقتصادية و الأنشطة الفنية بل من أجل هذه الطبقة وجدت هذه الأنشطة في الأصل لتقدمها فهم الذين يمتلكون تلك المقابر²

¹ - محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص 98

² - سريال الدريد : الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1989 ، ص 212

ومصاطب الفخمة المزودة بالعديد من أعمال النحت و التصوير و التي توقف من أجلها الأوقاف من أراضي زراعية و ممتلكات أخرى، وكان هؤلاء الحكام ومن حولهم حاشيتهم من كبار الموظفين يعيشون عيشة ترف ورفاهية ، فيسكنون الدور الفخمة ، ويقتنون الضياع الواسعة و يقيمون الولائم المترفة ، و ينتقلون في محفات تحمل على أكتاف الرجال ، حتى اذا ما كانت أيام الدولة الحديثة . و عرفت مصر الخيل والعجلات استبدلوا بها المحفات و باتوا ينتقلون عليها ، ويمارسون فوقها ألوان الفروسية والصيد والرياضة ، ويستروحون عليها بين المزارع و الحقول وعلى شواطئ النهر ، وكان لكبار الكهنة مركزا ممتازا لدى الشعب ، و هبة كبيرة، فكانوا بمثابة نواب الملك في أمور الدين و تمثلت هذه النيابة في منصب كبير الكهنة و بالتالي أصبحوا منبئين عن السلطة الملكية المؤهلة و جاء في أحد فصول الشعائر " أن الآلهة قد أعدت لي السبيل وان الملك هو الذي يرسلني ¹ ، وكانوا يبرعون كثيرا في اخضاع سلطان الدين لكثير من التاويل والتعقيد : و يحتفظون بأسرار تعاليمهم الدينية ، و يزعمون القدرة على استخدام السحر ، كما كانوا متبحرين في العلم والمعرفة مما يسر أمورهم و سهل سيطرتهم على الشعب ، وزاد في هيبتهم وسلطانهم ، كما بلغوا جانبا كبيرا من الثراء ، وبخاصة كهانة آمون التي تضخمتم ثرواتها ، و بمرور الزمن تكونت في مصر ملكية خاصة بالإله آمون ، منفصلة عن أملاك فرعون ، بل أنها لم تكن مقصورة على مصر وحدها وإنما امتدت إلى النوبة التي كاد أن يصبح ذهبها وقفا على الإله آمون . واستغل كهان آمون ذلك كله في توطيد سلطانتهم ومضاعفة ثرواتهم، حتى بلغوا من ذلك ما لم يبلغه أمثالهم في العالم المعروف وقت ذاك ، فنالوا نصيبا من الكنوز التي سلبت من العدو ، ومعابد بأوقافها من الأراضي في الأقاليم المستولى عليها ، هذا فضلا عن فرق من الأسرى الأعمال السخرة ، ومبان ملكية حول المعبد ، وطغت شهرة آمون فعمت البلاد ، بحيث لم يعد لأرباب الإقليم شيء من قوة ، إلا في بلاطه وتحت رايته ، حتى انتهى الأمر بكهانة آمون الى القبض على زمام الحكم في البلاد بقيام دولة الكهنة في أعقاب الأسرة العشرين .

1- جورج سو نيرون: كهان مصر القديمة . تر، زينب الكردي، هيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1975 ، ص، 39

الطبقة الوسطى :

لم يكن هناك نظام طبقات صريح يظل فيه النبلاء والصناع والفلاحون مرتبطين بطبقة معينة جيلا بعد جيل ، فكان المجتمع ينظم على أساس استمرار الأشياء الموروثة ، فيستمر ابن الفلاح ليكون فلاحا ، ونتوقع منه أن ينجب أبناء يعملون فلاحين ، والأمر كذلك في طبقة النبلاء، ولكن المصريين كانوا عمليين متسامحين ، ومن ثم فلم يجبروا شخصا على أن يظل أبد الدهر في طبقته التي توارثها اذا وافته الفرصة أو الضرورة للتغيير ، ففي العصور التي نمت فيها الدولة وتقدمت كانت البلاد في حاجة إلى خدمات الرجال ذوي المقدرة الذين يعتمد عليهم ، ففي مثل تلك العصور يمكن أن يوجد الصناع بين الفلاحين ويصبح خدام المنازل عمالا مهرة ، ثم يكافئون بالامتلاكات والوظائف والمميزات ، ومن ثم يصبحون ضمن زمرة الارستقراطيين .

وقد كان العمال والحرفيين في مصر على نوعين :الأول كالنحاسين والحدادين ونجارين والفخاريين الذين يعملون لحسابهم الخاص، أما النوع الثاني فكانوا يعملون في ورشات التابعة للملك والكهنة وكبار الموظفين وهؤلاء الصناع والأحرار منهم والعبيد يتقاضون أجورهم على شكل مواد غذائية .وثياب وغير ذلك مما كان يوجد عادة في مخازن الكثيرة الملحقة بالقصور الملكية والمعابد¹

وفي عصر الدولة الحديثة كان العمال يقومون في نقش المقابر وزخرفتها وحراستها، وهؤلاء العمال مقسمين الى فريقين يشرف عليهما ثلاثة من الرؤساء هما زعيما الفريقين و كاتب الجبانة، وافراد هؤلاء الفريقين فكانوا يسكنون مع عائلاتهم في منازل في الجبانة، كما كان يقيم مع العمال أشخاص لوضع البلاط على الجدران، وآخرون لقطع الخشب وتشديد المباني، وكانت .تدفع لهم أجورهم غاللا وتصرف لهم شهريا².

وهناك أمثلة انتقل فيها بعض المواطنين من أشخاص عاديين إلى طبقة كبار الموظفين في الدولة ، فهناك مثلا « وني » الذي يفهم من نصه المشهور الذي تركه لنا على لوحة بقبيره في أبيدوس أنه نشأ نشأة متواضعة ، ثم استطاع أن يرتفع إلى أحد المراكز المرموقة في البلاد ، ذلك أنه بعد أن خدم كموظف صغير في عهد (نتي » مؤسس الأسرة السادسة ، ارتفع في عهد « بي الأول » إلى أن يصبح سميرا ، أو رجل بلاط مقرب ، وقد سحب هذا التشريف تعيينه في مركز كهنوتي في

¹-نور الدين حاطوم :موجز تاريخ الحضارة، ج 1 .، مطبعة الجامعة، دمشق، 1964ص161

²-جون ولسون :الحضارة المصرية، مكتبة النهضة القاهرة، 1955. ص537

مدينة هرمه ، وسرعان ما كسب ثقة الملك الذي عينه عقب ذلك قاضيا ، وقد برز في هذا العمل فظهرت قدرته كمساعد الوزير ، ليستمع إلى قضايا مؤامرة أفرخت في الحريم الملكي والستة بيوت الكبرى (قضية الملكة ايمت)، وحين أنهى هذا الواجب الهام أصبح القائد العام لخمس حملات جريئة أرسلها الملك إلى آسيا ، واحدة منها كانت برية وبحرية معا ، حصر فيها عدوه بين فكي الكماشة ، وقد كتب له فيها جميعا نجحا بعيد المدى في تأديب العصاة من سكان الرمال ، ثم أصبح في عهد « مري ان رع » حاكم الصعيد ، وأنهى حياته مؤدبا لابناء الملك ، ورفيقا في مخدعه رقاؤه الى وظيفة مفتش بنائين ثم مشرفا على طائفته ، ثم رفعه جلالته إلى مصمم وبناء الملك ، ثم مصمم وبناء ملكي تحت إشراف الملك ثم رقاؤه جلالته إلى وظائف الرفيق الوحيد ومصمم وبناء الملك في البيتين . لان جلالته كان يعطف عليه كثيرا¹.

وسواء تمت هذه الترقيات بعطف من الملك ، كما يذكر نخبو ، أو بجدارة كل منهما ، أو حتى بالميراث ، وهذا ما لا ينطبق على « وني » على الأقل فان ذلك يدل على أن الوظائف إنما كانت متاحة لكل من تتوفر فيه الصفات اللازمة لشغل هذه الوظائف ، مما أدى آخر الأمر إلى أن يرتفع بعض أبناء الطبقة الدنيا إلى طبقة أعلى ، وفي عهد الدولة الحديثة نرى الكثير من نصوص الأسرة الثامنة عشرة يفاخر أصحابها بعصاميتهن، وبأن الواحد منهم انما قد بدأ وخليفته « دونما تأثير من

أقاربه » أو أنه « من أسرة غير ميسر عليها في الرزق كما أنه لم يكن من أصحاب الجاه في مدينته » وهكذا ظهرت لبقة وسلى قوامها الطبقة الوسطى من المواطنين ، فضلا من صغار مارك الأراضي الزراعية وأصحاب الحرف الممتازة وهؤلاء إنما كانوا من الفنانين والصناع ، ولعل السبب انما يرجع إلى حرفتهم نفسها وأهميتها بالنسبة للحضارة المصرية ، تلك الحضارة التي كانت في أخذ صفاتها حضارة فنية راقية ، وفنونها وصناعاتها هي أجل ما امتازت به ؛ حتى لا يعادها ، فيما يرى البعض شيء من عقائدها و آدابها وعلومها.

الطبقة الدنيا :

وتشمل التجار والعمال والفلاحين وأصحاب الحرف الصغيرة كالنجار والحلاق والبستاني وصانع السهام وطواف البريد والدباغ والاسكافي وغيرهم ، حيث كان الفلاح العنصر الأساسي في

¹ - محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص 101

اقتصاد البلاد¹ وكانت الغالبية العظمى من الشعب من طبقة الفلاحين ، اذ كانوا على فريقين الأول يمتلك أرضه وحقله وكانت هذه الفئة خاضعة لأداء الضريبة من طرف الدولة ، أما الفئة الثانية وهي أكثر عدد وكانت أجيرة عند الفرعون ومرتبطين بالأرض ، بحيث إذا انتقلت ملكيتها انتقلت معها تبعيتهم من المالك القديم إلى المالك الجديد. وبهذا فإن الفلاحين الذين فقدوا أملاكهم وحریتهم كانوا يعملون ضمن زمر تتألف كل منها من خمسة أشخاص وكان لكل منها رئيس²، ومع هذا لم تختلف حياة الفلاح عن العبيد بل إن بعضا منهم تحول الى رقيق نتيجة عدم تمكنه من تسديد ديونه الى الأغنياء وباعتبار الفلاح المصري أهم عنصر مكون للمجتمع المصري القديم قد تعددت مهامه فهو يقوم بكل ما تتطلبه الزراعة وتربية الماشية وأعمال أخرى شاقة. أما طبقة التجار ، فالمقصود بهم هنا أولئك الذين كانوا يعملون في التجارة الداخلية ، والتي كانت محدودة إلى حد كبير، ولذا فإن النصوص لا تتحدث عن التجار مما يدل على أن التجارة الداخلية في مصر القديمة إبان تلك الفترة لم تكن ذات أهمية ، اذ أنها لا تعدو المعاملات المحدودة والتي تجري في الأسواق المحيية ، وقد رأينا حكيما ينصح ولده بألا يكون تاجرا يحب الوادي متنقلا بين أقاليمه ومدائنه وقراه ، معرضا نفسه لإخطار الطريق وما يلقي في ذلك من أذى الهوام والحشرات ، في سبيل الحصول على ربح تافه يكاد لا يسمن ولا يغني من جوع وأما طبقة العمال ، فهم الذين كانوا يعملون في المناجم والمحاجر وغيرها ، وفي بناء الأهرامات والمقابر والمعابد ، وكانت الدولة هي التي تحتكر استغلال ، المناجم والمحاجر ، وهي التي تشرف على العمال بطريقة تضمن العناية بهم والسهر على مصلحتهم ، فكانت تجند طوائف من العمال المختصين تحت إشراف رؤساء العمال ومفتشين ، وتعمل على نقلهم تحت حماية جندها الى مقر أعمالهم في الصحراوات المصرية ، وقد كان العمال يقسمون إلى فرق ثم إلى زمر ، وكانت كل فرقة تحمل اسما معينا ، وكان هناك كاتب يسجل أسماء كل فرقة ، كما يسجل عملها وتاريخ انجازه ، هذا إلى جانب مفتشين يمدون يوميا أو أسبوعيا، وقد عثر في منطقة الأهرام على مساكن للعمال الذين بنوا هذه الشوامخ، وهي قاعات ضيقة طويلة يبلغ عددها قرابة المائة ، يتسع كل منها لنحو خمسين عاملا ، وقد أسهمت طبقة العمال بنصيب وافر في بناء هذه الشوامخ من الأهرامات الخالدة والمعابد

¹ - أدولف أرمان وهرمان ارنك : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة .تر: المنعم أبو بكر وآخرون : القاهرة، د.ط،

1953ص113

² -المرجع نفسه،ص114

والمقابر البديعة ، مما يثبت تلك الانتصارات المادية التي لم يسبق لها مثيل ، ذلك لأنه لم يوجد شعب آخر في بقاع العالم القديم نال من السيطرة على عالم المادة بحالة واضحة للعيان تنطق بها آثاره ، مثل ما قاله المصريون القدماء في وادي النيل ، فقد بني القوم بنشاطهم الجهم صرحا من المدنية المادية ظهر أن الزمن يعجز عن محوه تماما. غير أنه رغم هذا الجهد العظيم ، فإن طبقة العمال لم تعيش حياة تتفق والمجد الذي حققته للمدينة المصرية.

العبيد:

يعود تاريخ العبودية في مصر القديمة الى نهاية الألف الاربعة ق.م وقد انتشرت في المجتمع المصري القديم تدريجيا، حيث كانت أساس الإنتاج المتمركز على النظام الاقتصادي¹ وقد كان هذا الصنف من الناس في أدنى درجات المجتمع المصري القديم، بحيث نجد مصدرهم أسواق الرقيق في النوبة أو أسرى الحرب لذا نجد الفرعون يحتفظ بأعداد ضخمة منهم حتى انه يكافئ بعضا من المقربين اليه بمنحه عددا منهم، فهم يشكلون القوة العاملة الرئيسية في استثمارات الملك والمعابد في ممتلكات كبار مالكي الأراضي والموظفين في عهد الدولتين الوسطى والحديثة للذان كان نظامهما اقتصادي يرتكز على العبودية.

المبحث الثاني: المرأة ومكانتها في مصر القديمة

لم تكن المرأة المصرية عنصرا أساسيا في مصر القديمة فقط ، بل كانت جزءا رئيسا في النظام الحاكم عبر العصور .. فقد وصلت إلى أن تبوأ أعلى مناصب الحكم ، سواء بوصفها زوجة للفرعون ، كملكة أم رئيسة ، بوصفها ملكة حاكمة وفرعونا .

وليست هناك حضارة في تاريخ العالم القديم كان بها هذا العدد الضخم من الملكات الحالات ، سوى الحضارة المصرية وبهذا كان المصريون اول من آمنوا برسالة المرأة ودورها في المجتمع فقدها واعتزوا بها وأعطوها حقوقها، وعلى اثر ذلك تمتعت المرأة المصرية بمكانة متميزة في المجتمع أسوة بالرجل فكان لها حقوق في الميراث والشهادة والتملك وحق التعاقد وكافة حقوق المعاملات² فكانت قادرة على اجراء كافة التصرفات القانونية دون اذن من والدها أو زوجها وبإمكانها أن تملك ما تشاء وتعاقد باسمها وهذا ما تشير اليه التماثيل التي تظهر فيها الزوجة جالسة على نفس

1 - نعيم فرح :تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر، القاهرة، 1972، ص66

2 - محمد فياض ،المرأة المصرية القديمة، دار الشروق 1995 ،ص167

المقعد مع زوجها، أو يظهران واقفين جنباً إلى جنب وبنفس الارتفاع ، كما كانت تزاوّل البيع والشراء وتخرج إلى الأسواق وتحضر الحفلات والولائم وتزاوّل الموسيقى والغناء وتمارس الألعاب الرياضية.

ومن أقدم الوثائق التي يمكن أن نستشهد بها في هذا السياق وصية (متن) أحد كبار موظفي الملك "سنفرو" وجاء فيه أن أمه "تمنة" والمرأة بصفة عامة في عصر الدولة القديمة قد تمتعت بالشخصية القانونية من حيث تملك العقار وحق التصرف فيه والقدرة على إبرام الوصايا وإنجازها وفقاً لمشيئتها الخاصة. هذا كله أعطى للمرأة مركزاً ممتازاً يضارع مركز الرجل في كثير من الوجوه، كما اعترف للمرأة في جميع مراحل حياتها بفضلها ولا أدل على ذلك من ترديد تلك الألقاب الشرفية التي تشير إلى احترام المجتمع لها: "الأم الطيبة"، "الزوجة المحبوبة"، "الابنة العطوفة"، "سيدة كل السيدات"، غير أن مكانة المرأة قد تراجعت في عصر الانتقال الأول، حيث ظهر نظام تعدد الزوجات والخطايا مما أدى إلى إنقاص الكثير من حقوقهن فأصبحت النقوش والتماثيل تصور لنا الزوجة في حجم أصغر بكثير من حجم زوجها، كما تظهر أحياناً راکعة تحت قدميه إشارة إلى خضوعها السلطته وتنقل هذه السلطة بعد وفاته إلى الابن الأكبر أو إلى الوصي الذي اختاره الأب واندرجت بذلك المرأة في عداد ناقصي الأهلية فصار لا يحق لها أن تقوم بأي تصرف قانوني إلا بإذن زوجها¹، ومع بداية الدولة الوسطى استرجعت المرأة بعض حقوقها ويتضح ذلك في وصية تعود إلى الأسرة الثانية عشر، كما أشرنا إليها سابقاً تبين أن للمرأة مطلق الحرية أن تهب أو تمنع أي ابن من أبنائها كل أو جزء من أملاكها وجاء في هذه الوصية "ها أنا قد طعنت في السن وهم لا يعنون بي (أبناء) فمن بادر منهم ووضع يده في يدي فسأعطيهِ من أملاكي ومن لا يفعل فلا أعطيهِ شيئاً"²، كما توحى إلينا هذه الوثيقة من جهة أخرى أن الأم لم تكن دائماً مطاعة من قبل أولادها فقد تتعرض للإهمال والعصيان ، لذا نجد أنها تلجأ لأموالها لتستخدمها كوسيلة ضغط عليهم لطاعتها واحترامها. وزادت مكانة المرأة أكثر في عهد الدولة الحديثة، حيث تذكر وثائق المعاملات أنه صار للمرأة عدة حقوق (حق الملكية، البيع، الشراء، وأداء الشهادة في المحكمة) مما دفع ولسون³ أن يطلق على عهد الدولة الحديثة بعصر المساواة ويصف المجتمع المصري بالمجتمع المتمدنة. لنشهد

¹ - أحمد إبراهيم حسن : تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص124

² - عبد العزيز صالح : موسوعة تاريخ مصر عبر العصور التاريخية، الهيئة المصرية العامة . للكتاب ، 1997، ص136

بعد ذلك تردد أسماء النساء في الوثائق الاقتصادية والقانونية كشاهدات سواء كن زوجات أو بنات. وهذا كله يعكس أن المرأة المصرية كانت تحتل مكانة سامية تفوق سائر النساء في المجتمعات الأخرى بدليل الألقاب والنعوت العديدة التي حملتها على آثارها عبر العصور القديمة، كما لعبت المرأة المصرية أدوارا بارزة طوال التاريخ المصري القديم ولعل أول دور شغلته المرأة المصرية هو دورها كأم الذي احتل مكانة خاصة لدى المصريين القدماء فكانوا يدعون الى حب الأم والعطف والبر بها والإحسان اليها ويذكرون أولادهم بفضل الأم عليهم وبأهمية رضاها عنهم؟ ومن أروع ما خلفه الأدب المصري ما قاله الحكيم "آني" عن الأم ودورها في مصر القديمة "لقد ولدت لها بعد تسعة أشهر وضمتك الى صدرها و أرضعتك طيلة ثلاث سنوات كاملة"، ويوضح هذا دور المرأة ومركزها الاجتماعي وطبيعة الواجبات والمهام التي كانت تقوم بها من حمل والولادة وارضاع الأطفال وتربيتهم وتوفير العناية اللازمة لهم. واعتبر عنخ شاشنقى الزوجة انعكاسا حيا لشخصية زوجها في أمور صلاحها وأمور طلاحها وقال فيما قال: المرأة اشبه بجسم حجر لين يتأثر تشكيله بأول من يتعامل معه¹. واستمرت الأم تلعب هذا الدور المهم عبر العصور التاريخية فكان لها دور صغير في الجانب التربوي من خلال إسداء النصائح والإرشادات للأولاد فضلا عن تلقينهم مبادئ الأخلاق وتعليمهم مبادئ السلوك. كما كان لدور الأم درجة كبيرة من الأهمية للبنات وبصفة خاصة، حيث تنشأ بينهما صلة صداقة وثيقة نتيجة لتوجيهات الأم لها وتدريبها على الأعمال المنزلية المختلفة وإعدادها لتكون ربة بيت عند زواجها مستقبلا، وبهذا كانت الفتاة تجد في أمها خير معين لها كما يلاحظ على المشاهد الفنية على مقابر الدولة القديمة أم المتوفي في العادة ممثلة إلى جانب زوجته وكانت تحمل صورة والده في أغلب الأحيان ويدل ذلك على مركز الأم الرفيع ولا سيما في الأسرة وسمو منزلتها، و إلى جانب ذلك شغلت المرأة المصرية

دورا مهما في المجتمع في مختلف المجالات، ففي الميدان السياسي قد تولت بعض النساء أمور الحكم وكان يؤول إليهن في حالة عدم وجود وريث ذكر وتنحدر من أم ملكية ودم ملكي صميم إذ لم يمنع قانون وراثة العرش على المرأة تولي الحكم وكان الملك إذا مات وترك ذرية أكبرها بنت أصبح العرش من نصيبها أضفي عليها لقب الملكة. وبذلك كان بإمكان أن تتسلم المرأة نفوذ وسلطة

¹عبد العزيز صالح، الأسرة في عصورها القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1988، ص18

ملكية ومن ثم تصبح ولية على العرش، وهذا يوضح بطبيعة الحال نصيب الكبير للمرأة في تولي العرش الملكي.

وكان الزوج في هذه الحالة يتمتع بالملكية ما دامت زوجته على قيد الحياة ولكن بموت الزوجة الملكة ينتقل العرش الى ابنتها وزوج ابنتها، لذا كان لابد من إيجاد الرجل المناسب لتسلم العرش مع الملكة فمن المستحيل التصديق بأي رجل حتى الفرعون أن يهب منصبه إلى رجل آخر بعد وفاة الملكة الزوجة ويتضح من دراسة سير الفراعنة أن كل فرعون عمل على حماية نفسه من مشكلة التنازل عن الحكم من خلال زواجه من كل وريثة محتملة من دون أي يلقي أي بال لصلة القري التي تربط بتلك الوريثة وهكذا إذا ماتت الوريثة الرئيسية أي الزوجة الملكة كان يتزوج من الوريثة الأخرى سواء كانت البنت أو الأخت وهكذا يبقى الفرعون محافظا على ديمومة حكمه كما وإن عمر الوريثة لم يكن أمرا مهما حتى ولو كانت تلك الوريثة جدة أو طفلة¹.

وذكرت بعض الوثائق قيمة الثلث نصيبا للزوجة مع الاستفادة من الثلثين من منفعة الأموال المشتركة بينها وبين زوجها مدى الحياة، حين وفاة هذا الزوج. كما ذكرت أيلولة منفعة هذه الأموال المشتركة إلى الزوج فيما لو توفيت زوجته قبله، (أو الثلثين فيما لو سبق لها التصرف في الثلث بجهة أو وصية)².

واستنادا إلى ما سبق أن العرش الملكي في مصر القديمة كان ينتقل من الملكة الرئيسة الى ابنتها باعتبارها هي الوريثة الأساسية وعن طريق الزواج بها ينتقل العرش الى زوجها ويصبح على الفور ملكا، وتشير النصوص المصرية القديمة عن الدور الأساسي للملكة في البلاط الملكي وبحسب اعتقادهم فقد كانت تساندها الآلهة وخاصة الإلهة "حتحور"، كما صورت الملكة في المشاهد الفنية من الحضارة المصرية القديمة على هيئة العقاب التي تمثل الإلهة نخت "ربة مصر العليا وكان للملكة كابن اله وزوجة اله وأم اله مركز مرموق في المملكة وتعد زوجة الأولى للملك ولها حق اتصال جسدي به وهو امطي لم يعطى لسواها فإذا كانت ابنته لملك سابقا فإنها تكون قد ولدت من صلب جسد الهي ليكون فيها شيء من الكيان الإلهي بحسب اعتقادهم، فتمتعت الملكات بامتيازات خاصة كامتلاكهن لقصور خاصة لإقامتهن مزودة بالخدم والموظفين وكان لهن أراضي

¹ - جيري عبد المنعم: المرأة عبر التاريخ البشري، د.م، سوريا، 2007، ص 94.

² - عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 126.

خاصة ورثتها عن أبنائهم أو أزواجهن ، وبهذا احتلت الملكة مكانة ممتازة لا نظير لها في المجتمع ، حيث تفوق باقي النساء الأخريات. ولطالما كان دور الملكة مكملا دائما لدور الملك على اختلاف واحد يجدر ملاحظته وهو أن ملكات وأن صاحبن الملوك غالبا عند أداء الشعائر في المعابد فقد كان ظهورهن نادرا وهن يقدمن بأنفسهن القرايين إلى الآلهة لأن الاتصال بالعالم المقدس كان جزءا من مهام الملك.

المبحث الثالث: الوضع القانوني والاجتماعي للمرأة المصرية القديمة

كانت المرأة المصرية تتمتع بحقوق مساوية للرجال ، ليس على الورق ، وإنما في الواقع فعلا ، وذلك ، بعكس ما كان عليه الحال في معظم الدول القديمة ، مثل اليونان أو الرومان . ومع أن هذه الحقيقة تعتبر أمرا غير مألوف بالنسبة لأوضاع الشرق ، فإننا نجد منعكسة بوضوح تام في الوثائق والكتابات ، وكذلك في الأعمال الفنية¹ .

ولكنه من البديهي القول إن المكانة القانونية - كما في جميع المجتمعات الطبقيّة - كانت تتوقف على الوضع الاجتماعي ، ومن ثم يستحيل أن تكون موحدة .. وهو ما نراعيه هنا بأن يكون حديثنا عن الوضع القانوني والاجتماعي لامرأة ورجل ينتميان إلى الطبقة الاجتماعية نفسها .

وفي بعض الأحيان، كان التركيز يتم ، عند ذكر النسب ، على الأم أكثر من الأب . ولم يتغير هذا الوضع المتميز للمرأة إلا مع بداية العصر البطلمي ، عندما أخذت الأفكار والعادات الوافدة ، وبخاصة اليونانية منها ، تعمل في ببطء على زحزحة القانون المصري. ومع أنه لم يعثر على كتاب قانون من العصر الفرعوني ، مثل قانون حامورابي ، المكتوب في القرن ١٨ ق.م.، والذي ينص على حقوق وواجبات جميع الناس - فإنه يعتقد بأن كتابا مصرياً مماثلا كان موجودا .

هذه المساواة الاجتماعية بين المرأة والرجل ، يمكن تتبعها حتى عصور ما قبل التاريخ المكتوب. وقد وجد في حفائر الجبانات أن المرأة كان لها الحق في أن تدفن في مقبرة خاصة بها ، مثل الرجل، مع وجود القرايين المناسبة والتماثيل والشواهد . وقد وجد أن مقابر كثيرة لسيدات من طبقات اجتماعية مختلفة ، مثل الملكات والأميرات والوصيفات وزوجات العمال والموظفين، لا تختلف في تجهيزاتها الداخلية عن مقابر أزواجهن .

¹ - محمد فياض ، المرجع السابق، ص 18

وكان حق المرأة القانوني الكامل - وبخاصة حق إدارة أعمالها الخاصة الذي يعتبر أحد الأعمدة الأساسية للمساواة - يشمل جميع المجالات القانونية . كان من حقها أن تمتلك وتتصرف في الضياع والخدم والعبيد والمال والأشياء الثمينة ، بحرية واستقلال تامين . كما كانت تستطيع إبرام العقود بجميع أنواعها¹ ، وأن تكون شاهدة على عقود الزواج ، وأن تكتب الوصايا ، وأن تمنح العبيد حريتهم ، أو حتى أن تتبنى أي شخص وكان للمرأة الحق بأن تتقدم إلى المحكمة النظامية بشكوى أو ترفع فيها دعوى . وفي هذا نجد أمثلة كثيرة ، نقرأ في إحداها - على شقف من الجير - موضوع إحدى المنازعات الخاصة التي قدمت للمحكمة المحلية في غرب طيبة :

« في هذا اليوم تقدم الدعوى من المدعية المواطنة إيزيس ضد العمال خا- إم - إربى ، وخا- إم - فيزى ، وآمون نخت ، وهي كالاتي : فليعطون أماكن زوجى با - نخت . المداولة . حكم القضاة المرأة المصرية محتاجة إلى وصي لتنفيذ أية أفعال قانونية . كما أن كونها متزوجة ، لم تكن له أية أهمية . وبذلك كانت المرأة تحصل على ممتلكاتها الخاصة بالشراء من مالها الخاص ، أو عن طريق الهدايا من الوالدين أو الزوج . ويوجد في الدولة القديمة نص سيرة ذاتية يبين لنا أن رجلا حصل على 50 أرورة حوالى 37 هكتار) من الأراضي الزراعية ، وهي هدية من أمه له .

خاصة أن المرأة المصرية في العصور القديمة قد أخذت كل مايمكن لأمرأة أن تأخذه من حقوق امام الرجل²، وكانت المرأة تحصل على الثروة عن طريق الإهداء من جانب زوجها ، عندما كان يريد منحها النصيب الأكبر من التركة ، أو أن يطلق يدها في كيفية التصرف فيها . وفي أحد الأمثلة ، نجد عقدا من عصر الدولة الوسطى ، يتنازل فيه الرجل لزوجته وأبنائه عن خمسة عشر أسيرا ، ويشير إلى ستين أسيرا حصلت عليهم الزوجة من زوجها في مناسبة سابقة .

وكانت المرأة تحصل أيضا على الثروة عن طريق التبني، وذلك بموجب عقود يقوم فيها الزوج بتبني زوجته، ثم ينقل إليها كل أملاكه . وجدير بالذكر هنا أن المرأة المصرية كانت لها الحرية في التصرف في ميراثها ، وكانت تستطيع حرمان أي من أولادها منه إن شاءت .

فنعرف عن إحدى سيدات العصر الحديث ، وكانت تدعى «نيونخت » ، أنها ذهبت إلى المحكمة المحلية المكونة من أربعة عشر عضوا ، اثنان فقط من الموظفين القضائيين ، والبقية كانت لهم صفة

¹-د محمد فياض ،المرجع السابق،ص19

²-نبيل محمد عبد الحليم،معالم التاريخ الحضاري و السياسي في مصر الفرعونية، منشأة المعارف، الاسكندرية 1998، ص145

الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية

المستشارين ، التقدم نفسها على أنها امرأة حرة ، وأنها تطلب حرمان بعض أولادها الثمانية الذين أنجبته أثناء الزواج الثاني. وتقول :

« انظرا ، إني امرأة عجوز الآن ، وهم (أي أولادها) يرعونني . أما هؤلاء الذين كانوا يسألون عني ، فإنني أترك لهم من ممتلكاتي . أما الذي لم يسأل عني فسوف أحرمه من هذه « التركة » .. ثم تعدد أسماء الأولاد، مع توضيح من منهم سيرث إرثه بالكامل ، ومن منهم سيرث جزءا فقط من لأطفال مما دفعه إلى الحرص على الانجاب بل والتبكير بالزواج حتى يتمكن من تربية اطفاله قائمة الأولاد التي تقول عنهم : هؤلاء لا يرثون من الثلث الخاص بي ، ولكن لهم الحق في إرث الثلثين المتبقين لأبيهم» .واضح هنا أن التبري هدفه صريح في أنه يمنح إخوة المتوفي بعد وفاته من المطالبة بنصيبهم في تركته التي يريد أن تنفرد بها زوجته .

ولقد شغل المصري القديم بحب مما دفعه إلى الحرص على الانجاب بل والتبكير بالزواج حتى يتمكن من تربية اطفاله قبل أن يتقدم به السن ويء في نصائح ملاحظة ذلك الاتجاه مما جاء في نصائح أنى¹.

وفي البردية ، نرى أن الزوجة تقوم بنفسها بعملية تربية ثلاثة أطفال لإحدى الإماء التي ابتاعتها مع زوجها . ثم تقوم الزوجة بتزويج كبرى البنتين لأخيها الأصغر ، بعد وفاة زوجها . هذا الأخ الأصغر بدوره تبناه الزوجة ، ليحصل هو كذلك على نفس النصيب في التركة . والمهم في هذا المثال وغيره التأكيد على أنه برغم أن الزوجة لم تكن وريثة شرعية لزوجها ، فقد كانت أمواله وأملاكه يؤل إليها بعدة طرق ، وبموجب وثائق يجررها لصالحها .

المبحث الرابع:ملكات حاكمات

وقد عرفت مصر القديمة عبر تاريخها الطويل أسماء عدة ملكات مشهورات ارتقين العرش الملكي والتي بلغت وفقا لقوائم "مانيتون" ثمانية عشرة ملكة ابتداء من "مريت نيت" أول ملكة تربعت العرش في ق35ق.م وصولا الى "كليو باترا"² آخر ملكات مصر في القرن الأول ق.م ومن أبرز الملكات الاسرة 18.

¹ - نبيل محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص163

² - كليوباترا، ولدت عام 69 ق.م وكانت من سلالة إغريقية خالصة أوقد تكون خالصة لان أجددها من ملوك البطالمة الذين حكموا مصر زهاء ثلاثة قرون.

الملكة حتشبسوت :

ملكة مصرية ابنة كل من الملك تحتمس الأول والملكة آمحس ، زوجة الملك تحتمس الثاني ، حكمت مصر فترة تصل إلى عشرين عاما . وقد يعني اسمها « أولى (السيدات) المجلات أو «فضلى (السيدات) المجلات . وكانت في عصر ابوها زوجة إلهية موت نثر لامون وهو لقب ذو دلالة دينية ويعبر عن أهمية كبيرة ومكانة سياسية أكبر¹

تولى تحتمس الثالث عرش مصر بعد وفاة والده تحتمس الثاني ، وقد جاءت شرعيته للحكم تحقيقا لنبوءة الإله آمون الذي اختاره ليجلس على عرش البلاد ، بعد وفاة أبيه . ويحتمل أن يكون تحتمس الثالث قد تزوج أيضا من ابنة حتشبسوت لا نفرو - رع « ليؤكد حقه في وراثة العرش . كان تحتمس الثالث عند تنويجه صغير السن ، وكانت حتشبسوت محيطة به من كل جانب ، فهي زوجة أبيه ، وأم زوجته - في حالة زواجه من ابنتها نفرو - رع ، وعمته في آن واحد.

ولقد استطاعت لما لها من شخصية قوية وعقل وعقل متميز أن تستمر كحاكمة وملكة طيلة عشرون عاما وتسعة شهور²، وكانت حتشبسوت امرأة ناضجة ، قوية ، طموحة ، وتميزت الملكة حتشبسوت بجمالها، حيث عكست التماثيل العائدة لها وجهها ذا الذقن المستدق والجبهة الواسعة والجسم الرشيق مما يشير أنها كانت عظام رقيقة، وأيدي وأقدام ناعمة والبشرة الداكنة والشعر الأسود، تحمل من الألقاب أرفعها : « ابنة ملك ، أخت ملك ، الزوجة الملكية ، الزوجة الإلهية » .. فاستطاعت بقوتها وشخصيتها منذ البداية أن تتولى تسيير شئون البلاد وإدارة دفة الأمور . وجاء عنها في إحدى اللوحات أن مصر : « كانت مطأطأة الرأس وهي تعمل لها ، وكانت هي صاحبة الأمر لأنها البذرة الممتازة التي خرجت من الآلهة » .

ولم تكن حتشبسوت بالمرأة التي تكتفي بهذا ، فتمكنت في العام الثاني من حكم تحتمس الثالث من أن تنحيه عن العرش نهائيا ، بل وأرغمته على الاعتكاف ، وأمرت بتتويجها تحت اسم « ماعت كارع ، بموافقة الإله آمون ورغبته، وفقا لما هو منقوش على جدران معبدها بالدير البحري .

¹ -مرم خولي، حتشبسوت صانعة الاساطير، دار الهلال، 2007، ص6

² - محمد سعد الله ، الدور السياسي للملكات في مصر القديمة، مؤسسة الشباب الجامعة للنشر والتوزيع ، الاسكندرية 1988، ص23

وأصبحت حتشبسوت ملكة على مصر ، وقامت بدور الإله حورس ، ومثلته على الأرض واتخذت لقب ابن الشمس ، بل وتشبهت بمظهر الرجال، وارتدت زيهم ، كما استعملت الذقن الملكية المستعارة الخاصة بالملوك ، وأستخدمت ضمير المذكر في النصوص .

استمر حكم حتشبسوت فترة عشرين عاما ، كرست خلالها كل جهودها للإنشاءات المعمارية ، وذلك غير حملة عسكرية واحدة أرسلتها إلى بلاد النوبة للقضاء على الثورة فيها . وأمرت حتشبسوت ، في العام السادس أو السابع من حكمها ، بإبحار خمس سفن ضخمة إلى بلاد بونت ، أرض البخور قرب الصومال ، لإحضار منتجات هذه البلاد إلى مصر ، تحت إمرة القائد (نحسى » . وبدأت الرحلة الطويلة من أحد مواني البحر الأحمر بالقرب من وادي الجاسوس . وقد تم تصوير هذه الرحلة البحرية على جدران معبدها الجنائزي بالدير البحري ، في ما يعتبر دراسة متكاملة لأحوال بلاد بونت ومنتجاتها . (يستشف من النقوش استهزاء الفنان المصرى بأميرة تلك البلاد ، حيث صورها سيدة بدينة تعاني من ترهل العضلات ، وتتبع زوجها بصعوبة وبخطوات ثقيلة) . وأرسلت حتشبسوت بعثة إلى محاجر أسوان ، لإحضار الزوج الأول من مسلاتها ، فقد ترك لنا المهندس سنموت هناك في أسوان نقشا يوضح أنه هو الذي كان مسئولاً عن قطع المسلتين للزوجة الإلهية والزوجة الملكية حتشبسوت » . وفي عام حكمها الثالث عشر ، أمرت أحد كبار موظفيها - ويدعى أمنحوتب - بالذهاب على رأس بعثة إلى أسوان للإشراف على قطع زوج آخر من المسلات . وقد ترك لنا أمنحوتب نقشين يؤكد بها قيامه بهذا العمل . وما زالت إحدى هاتين المسلتين قائمة الآن في معبد الكرنك . وقد خلفت حتشبسوت الكثير من الآثار ، كذلك سجلت بفخر ان ترميم المعابد في مصر التي خربها الهكسوس انما تمت في عهدها¹ .

الملكة أعح حتب :

زوجة الملك سقنرع تاعا الثاني ، وأم الملك أحمس الأول . تتضمن لوحة أمس الأول التي عثر عليها أمام الصرح الثامن بالكرنك ، والتي ترجع إلى بداية حكمه² ، فقرة كبيرة يمجّد فيها الملك أمه ، ويعظمها ، بل ويأمر الجميع بتقديسها . فقد كانت سيدة المصريين وزوجة ملك ، وأخت ملك ، وأم ملك .. العظيمة التي تقيم بشئون المصريين . هي التي جمعت شمل الجيش وحمت الناس ،

¹ -محمد علي سعد الله ، المرجع السابق ، ص 81

² -د محمد فياض ، المرجع السابق ، ص 171

وأعادت الهاربين .. هي التي هدأت ثورة المصريين في الصعيد .. وهي التي قضت على العصاة في مصر ، الزوجة الملكية أعح حتب ، لها الحياة » . من هذا النص ، يتضح لنا الدور الهام الذي قامت به الملكة أعح حتب لحماية مصر ، وذلك - أغلب الظن - عندما أفلت الزمام من أيدي الحكام بعد موت الملك سقننرع الثاني أو بعد موت ابنه أحمس . ومن المحتمل أن أعح حتب كانت توجه شئون الدولة لابنها الملك أحمس في بداية حكمه ، بدليل أننا وجدنا نقشا يحمل اسمها بجانب اسمه في بوهين عند الجندل الثاني

الملكة أحمس نفرتاري:

زوجة الملك أحمس الأول ، ابنة كل من سقننرع تاعا الثاني والملكة أعح حتب ، وأم الملك أمنحوتب الأول . وقد يعني اسمها إما « القمر يولد أجملهن » أو « (الإله) القمر أنجبها جميلته » أمضت أحمس نفرتاري فترة شبابها الأولى ، شأنها في ذلك شأن أمها أعح حتب ، حين كان صراع مصر مع الهكسوس لا يزال على أشده ولما تزوجت الملك أحمس تمكنا سويا من أن يحكما البلاد قرابة اثنين وعشرين عام¹.

ذكرت النقوش المصرية اسم هذه الملكة مرارا ، ورسمت ونقشت صورتها في أكثر من مكان ، في سيناء ، وطره ، وأسيوط ، والنوبة ، وعلى أكثر من لوحة في أبيدوس والكرنك ، ووجد اسمها مكتوبا على 68 جعرانا . وهناك منظر هام منقوش على لوحة عثر عليها في الكرنك ، يمثل الملك أحمس وزوجته أحمس نفرتاري ، يقدمان الخبز كقربان للإله آمون ، وقد صورت الملكة بنفس حجم كل من الملك أحمس والإله آمون.

وقد يدل هذا على ما كان لهذه المملكة من شهرة واسعة ، وعلى مكانتها السياسية والدينية ؛ فقد قامت بدور هام في حروب التحرير ضد الهكسوس ، وفي بعث روح المقاومة في نفوس أفراد الشعب المصري ، ولعبت أيضا دورا سياسيا مثلا لها أعح حتب في إعادة بناء البلاد . وكانت لها مكانتها الدينية المتميزة ، فهي أول سيدة اتخذت اللقب الديني « الزوجة الإلهية لآمون » وهو لقب كان يطلق فقط على زوجة الملك وأم أولاده التي تقوم بدور ديني مقدس في المعبد . وقد منحها الملك أحمس وظيفة الكاهن الثاني لامون في معبد الكرنك ، لتكون لها ولذريتها من بعدها . كما كان من ألقابها أيضا « الزوجة الملكية العظيمة » و « الأم الملكية ».

¹ -عبد الحليم نور الدين ، دور المرأة في المجتمع المصري القديم ، مطابع المجلس الأعلى للأثار، 2009 ، ص 26

الملكة عنخس أن آمون:

زوجة توت عنخ آمون ، وابنة نفرتيتي وأمنحتب الرابع (إخناتون) أنجب ابنة ثالثة في الفترة ما بين العام السادس من حكمه وأطلق عليها اسم (عنخس-ن-با-آتون)، وهذا الاسم يعني (ليتها تعيش لآتون)¹. لم تطل فترة حكم زوجها أكثر من عشرة أعوام من 1348 إلى 1337 ق. م . مات بعدها، في ريعان شبابه (لم يكن قد تجاوز العشرين) بسبب اعتلال صحته. ويهمنا أن نشير إلى السعادة والهناء والمحبة التي سيطرت على علاقة الزوجين الشابين ، واللذين وجدا من يحمل عنها أعباء الملك . وتتعدد المناظر التي تصور الملك مع زوجته ، تارة فوق العرش ، وتارة وهي تناوله الأزهار ، وثالثة وهي تناوله السهم ، ورابعة وهما في أحد مناظر الصيد . وعندما كشف عن قبر توت عنخ آمون ، وجدت باقة زهر صغيرة وضعتها الملكة الشابة الحزينة بيدها فوق صندوق المومياء ، فكانت تحية وداع لزوجها ، ورفيق صباها الذي تركها وحيدة وأخذ طريقه إلى العالم الآخر . أصبحت الملك عنخ أس أن آمون أرملة ، دون أن تنجب أي أطفال ، وكان عليها كأرملة للفرعون مسئولية إيجاد ولي للعهد . فقامت بخطوة جريئة غير مألوفة ، إذ كتبت رسالة إلى سويلوليوماس ملك الحيثيين - صاحب النفوذ الأكبر في آسيا - وبعثت بها مع رسول تطلب إليه أن يزوجهما أحد أبنائه وفعلا قرر الملك إرسال أحد أبنائه ، فقلما تتاح مثل تلك الفرصة للاستحواذ على إمبراطورية ضخمة ، أصبحت في متناول يديه . لكن الأمير العريس لم يقدر له أن يدخل مصر ، إذ قبض عليه وقتل عند الحدود المصرية .

الملكة «تي»:

ارتقى أمنحوتب الثالث عرش مصر ، من 1417 إلى 1379 ق.م.، خلفا لوالده تحتمس الرابع . وقد ادعى - كما ادعت حتشبسوت من قبل - أنه ابن الإله آمون - رع . في السنة الثانية من حكمه ، تزوج أمنحوتب الثالث من تي « ، نشأت في مدينة أخميم وهي ابنة يويا أحد انبياء الاله مين وتويا كبيرة حريم مين تزوجت في² من الملك امنحوتب الثالث منذ اعتلاء العرش

¹ - إسحاق بنيامين ، قادة مصر الفرعونية ، خناتون وتوت منخ آمون دار الياس المصرية للطباعة والنشر 2008، ص 52

² - سمير ادب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص 309

وعاشت بعده، وهي سيدة من عامة الشعب ، وليست من السلالة الملكية . وفي رأي أحد المصادر أنه لا بد أن تكون هناك علاقة حب جارفة قد جمعت بينهما، إلى الحد الذي جعل أمنحوتب يحارب جميع التقاليد ويرفع «تى» إلى « الزوجة الملكية الكبرى » .

لم تكن «تى» - كما نرى من صورها - رائعة الجمال ، لكنها كانت امرأة ذات طموح ، قوية الشخصية ، تعرف ماتريد، تشارك زوجها في السياسة ، وتشير عليه في جميع شئون الدولة ، فاستطاعت أن تتحكم في سير الأمور والأحداث ، ومن ثم كان لها أثرها الكبير في تاريخ الإمبراطورية ، سواء في حياة زوجها ، أو في حياة ابنها أخناتون .

الملكة نفرتيتي:

زوجة إخناتون ، ويعني اسمها « الجميلة وصلت » نفرتيتي ملكة اشتهرت بجمالها الأخاذ وجاذبيتها الفائقة¹ . ولم يستقر الأثريون على هوية جنسيتها ، فمنهم من يعتقد أنها مصرية ، ومنهم من يرى أنها ميتانية ، وإن كان البعض يرجح أنها ابنة الضابط «آى» الذي تولى الحكم فيما بعد.. إلا أنه لم يوجد حتى الآن أحد اللقبين «ابنة ملك» أو «أخت ملك» على آثار نفرتيتي سواء في الأقصر أو الأشمونين أو تل العارنة . ثم ان نفرتيتي استقرت مع زوجها إخناتون في عاصمتهم تل العمارنة

الى حين انجبت له ثلاثة بنات أخريات². جدير بالذكر أن صور نفرتيتي وزوجها ، ومعها بناتها، هي من سات فن العمارنة الذي يتميز بأنه أظهر للمرة الأولى - والوحيدة - الفرعون وعائلته في حياتهم الخاصة ، في صور إنسانية رائعة ، تمثل الواقع البشرى وتبتعد عن قدسية الملوك، فكانت نفرتيتي تظهر في صحبة زوجها وخلفها أو بجانبها واحدة أو أكثر من بناتها . وكانت تلبس - غالبا - ثوبا رقيقا طويلا يغطي كتفيها ، وتلبس مرة التاج ذا الريشتين ، أو التاج ذا الريشة وتحتة قرص الشمس بالقرنين أو الباروكة المموجة ، أو الباروكة النوبية ، إلى جانب لباس الرأس المعروف بالنمس». وهناك منظر شهير يمثل نفرتيتي وزوجها في نافذة الظهور تحت أشعة أتون المرسلة عليها .. وآخر لا يقل شهرة يصورها وهي تقدم تمثال ماعت (إلهة الحق والعدل أو الصدق) - مثل زوجها إخناتون - إلى قرص الشمس اتون .

¹ - د محمد فياض ، المرجع السابق، ص176

² - أحمد سيد توفيق، معالم تاريخ مصر القديمة، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، 1986، ص298

الفصل الثالث

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية

المبحث الأول: الزراعة

المبحث الثاني: الصناعة الصناعات الأستخراجية

المبحث الثالث التجارة وطرق المواصلات:

.

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية

المبحث الاول: الزراعة

بدأت حياة الإنسان المصري القديم في مجتمع زراعي مستقر تجمعت فيه منذ البداية خصائص طبيعية معينة جعلت منه وحدة مادية وفكرية ذات طابع خاص، ومن أهم تلك الخصائص ظاهرة الدورية أو بالأحرى ذلك الانتظام المتكرر في الظواهر البيئية والكونية مما دفع الإنسان الكائن في ذلك المجتمع إلى تأكيد استمرار وانتظام تلك الظواهر، وبالتالي الاعتقاد في وجود قوى الهية من ورائها وقد تأكد ذلك ايضا لأن الاقتصاد الرئيسي في المجتمع المصري القديم هو الاقتصاد الزراعي الذي يعتمد أولا وأخيرا على تلك الظواهر البيئية والكونية¹ وتعد الزراعة من أهم المهن التي مارسها الإنسان المصري القديم، وعمل بها قطاع كبير من الشعب وهي المورد الخصب الذي اكسب مصر حضارتها الياقة، وكانت الأسس الأولى لهذه المهنة قد وضعت منذ عصور ما قبل التاريخ إذ قام رواد الحضارة الأوائل لما جاءوا الى ضفاف النيل بأزالة الأحراش والغابات وتنظيم جريان النيل وشق الترع والقنوات فعملت تلك الجهود على نمو الحضارة وتوفير القوات كما إن أبرز ما يميز الحضارة المصرية وتاريخها هو نهرها العظيم النيل الذي يعد مصدر الحياة والخصب مما حدا بالإنسان المصري القديم الى مراقبة فيضانات النيل بعين الحذر، وأن يعمل على تنظيمها² لذلك اهتمت الدولة اهتماما بالغا بالنيل وصل إلى حد التقديس، وقد حظيت الزراعة برعاية واهتمام ملوك مصر كما كانت تخضع لتوجيه وأشراف الدولة فكان بين موظفيها المشرفون على صوامع الغلال ومحاصيل الأقاليم، وقد حرص ملوك مصر في عصر المملكة الحديثة على تنمية الزراعة وتنويع الحاصلات الزراعية من خلال جلب النباتات التي لم تكن معروفة في مصر ويوجد ما يشير الى ذلك من خلال النقوش، فقد قام توحتمس الثالث الملك بعد عودته من حملته الثالثة في نقش على أحد جدران قاعة خلفية بالكرنك جاء فيه "العام الخامس والعشرين تحت حكم مصر العليا والسفلى من خبر رع الذي يعيش الى الأبد نباتات وجدها جلالته في أرض رنتو العليا لتخضع البلاد جميعا تنفيذا لرغبة أبيه آمون الذي وضعهم تحت نعله الى الأبد"

1- مونتيه بيير، الحياة اليومية في مصر، ترجمة: عزيز مرقس، ج1 العربية للطباعة والنشر، 1999، ص 117

2- ناشد، مختار رسمي، فضل الحضارة المصرية على العلوم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973، ص 83

حتى أنهم قاموا بتصوير كل ما يتعلق بالزراعة على جدران قبورهم ، فلم يتركوا لونا من ألوانها ولا آلة من الأتة ولا حيوانا ولا نباتا ولا أثرا دون أن يبرزوه في صور متتابعة من حياتهم اليومية

الفلاح: كان الفلاح المصري القديم يشرع في تمهيد الأرض واعدادها للزراعة وكان ذلك يتطلب شق الترع والقنوات ، بعدها يقوم بحرث الأرض وتفتيت ما على سطحها من كتل الطمي الكبيرة وقد استعمل الأبقار والثيران لهذا الغرض ، وهناك مشاهد على أحد جدران قبر (نخت) بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة تمثل الحرث وقلع الحشائش وتقطيع الأشجار، وهناك شاهد آخر على جدران قبر (با حرى)¹ بالكاب من هذه الأسرة أيضا لصورة تمثل ثيران تجر المحاريث وقد نقش اعلاها "هذا يوم جميل هواؤه بارد، والثيران تجر المحراث، ولا عجب فالسماء صحو تسر قلوبنا وحين تنتهي عملية حرث الأرض تبدأ عملية أخرى وهي البذر، وكان يشرف على توزيع البذور موظف خاص اذا كانت ملكية الأرض تابعة للملك ويدعى كاتب الحبوب حتى أن الأرض كلها كانت في عهد المملكة الحديثة بأستثناء المعابد ملكا للملك من الناحية النظرية وهي تؤجر إلى ملاك مختلفين أو تستبقى لاستغلالها وكان الفلاحون يدينون بالولاء لهذا الموظف الذي يوضع على رأسهم ، وكانوا مسئولين عن زراعة الأرض التي كان يسمح لهم بجانب من انتاجها ليعيشوا عليه وكان هذا هو أجرهم بعدها تدفن البذور في الأرض ثم يطلقون عليها الخراف وماشية أخرى تسير في الحقل ، ويتقدم القطيع مزارعا يحمل بعض الحبوب² ليغري الماشية بأتباعه الا انه في عصر المملكة الحديثة استبدلت الماشية بالخنازير وكان الفلاح دائم المرور على حقله ينقي المحصول من الشوائب، ويعتني به ويرعاه ويحدد نموه حتى يبلغ تمام نضجه وعندئذ تبدأ عملية الحصاد ، ويربط المحصول في حزم بعد تنظيفه من السنابل بالنسبة لزراعة القمح والشعير ثم ينقل الى الصوامع بعد أن يكيل من قبل موظف خاص من المدينة المحصول وهناك مشاهد على أحد جدران قبر (منا) صورية بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة تمثل عملية الكيل وقد انحنى بعض الفلاحين بمكاييلهم يعترفون بها الحب بينما كتبة الزراعة يحاسبون ويسجلون المحصول وقد عثر في أحد قبور طيبة على مخازن غلال مخروطة الشكل منها ثلاث مليئة بالقمح وأثنان فارغان في اعلاها فتحات تستخدم لملئها بالحبوب وفي اسفلها فتحات

1- موسى ، أحمد رشاد ، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي الدراسة الأولى حضاراما قبل التاريخ وحضارة مصر الفرعونية ،

المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، 1998، ص 201

2- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات (حضارة وادي النيل)، ج 2، شركة التجارة والطباعة المحدود، بغداد، 1959، ص 179

أخرى يسحب منها الحب وكانو يصنعون نماذج الصوامع الصغيرة من الخشب أحيانا كما هو الحال في الصومعة الصغيرة التي عثر عليها في قبر توت عنخ آمون طيبة، وهي مقسمة الى غرف أو عيون مختلفة تماماً كل منها بالقمح والشعير ورغم كل هذا فالويل للفلاح الذي يخفي جزءا من محصوله أو الذي لا يستطيع تسليم رجال السلطة الرسميين كمية المحصول التي أظهرت عملية المساحة قدرة حقله على تقديمها، حتى ولو كان الفلاح آمينا حسن النية عندئذ يلقي أرضا ويضرب ضربات متواليه بالعصا وقد تنتظره مصائب أشد وانكى وجملة القول فأن هذه الأعمال الشاقة والضربات بالعصي سرعان ما تنسي، وقد اعتاد الفلاح عليها ويعزي نفسه اعتقاده أن العصا لم تستثني أحد في بلده وأنها كثيرا ما وقعت على اكتاف أقل تحملا من اكتافه¹ وعلى الرغم من حدوث الفيضانات لنهر النيل الأ أن النشاط الزراعي لم يكن ينقطع على الرغم من التعطل الإجباري، ولكن يعقبه نشاط كبير يبدأ بأعداد الأرض وإعادة ترسيم حدود وعلامات الحقول وحفر الترع والقنوات على أعماق وتحديد السدود ومراجعة ارتفاعاتها، ونظرا للعمليات وقلة قوة العمل المتوفرة كانت مشكلة توفير العمال والفلاحين بطريق السخرة وقد أتسم هذا النظام في عصر المملكة الحديثة بالظلم إذ كان الفلاح المصري القديم يأنف من السخرة، ووجدت بردية محفوظة في بروكلين تحتوي على أسماء سبعة وسبعين شخصا غالبيتهم من الرجال فرضت عليهم العقوبات لهروبهم من العمل بالسخرة، ولم تقتصر العقوبات الموقعة عليهم على الجزاءات المعتادة بل امتدت لتشمل ذويهم الذين كانت تأخذ منهم رهائن في بعض الأحوال لقد احتكر ملوك المملكة الحديثة بعض الأنشطة الاقتصادية حتى الدولة كانت تحدد المساحة التي يتعين على الفلاح زراعتها ببعض المحاصيل، كما كانت تنظم حق المزارعين من الانتفاع ببعض الأراضي الزراعية أما عن كيفية معرفة مساحة الأرض التي كانت تعد أساسا في تقدير الثروة الزراعية فقد استخدموا الحبل ذا العقد توطئة لجباية الضرائب عليها من جهة وللتأكد من عدم التلاعب في الحدود من جهة أخرى، ووجدت صور لفلاح في حقله وقد نقش بجواره القسم الآتي " اقسام بالأله العظيم رب السموات أن الحدود الصحيحة في مكانها " كما وجد شاهد على جدران قبر (منا) بطيبة صورة تمثل عملية المساحة يجريها المساحون بحبل ذي عقد وكانت الضرائب التي تفرض على الفلاحين فهي عبارة عن ضرائب تؤدي في صور محاصيل عينية وخدمات لم

¹ - مونتيه بيير، المرجع السابق، ص146

تختلف تماما في أيام الرومان لأن منح حق استغلال الأرض الزراعية المملوكة للأهلين في مجتمع زراعي كمصر إنما كان يصدر عادة من كبير المجتمع مقابل تقديم مواد غذائية له أو إعالته لمدة أيام معلومة أو مقابل قدر معين من الحنطة أو عدد من الماشية، وقد استمر العمل بهذه الضرائب الى عصور متأخرة من تاريخ مصر القديم ويتضح من بعض الوثائق التاريخية أن ضريبة الأراضي الزراعية كانت تقدر بنسبة خمس الإنتاج الزراعي شأنها في ذلك شأن كان الفلاح المصري القديم يأنف من السخرة ، ووجدت بردية محفوظة في بروكلين تحتوي على أسماء سبعة وسبعين شخصا غالبيتهم من الرجال فرضت عليهم العقوبات لهروبهم من العمل بالسخرة ، ولم تقتصر العقوبات الموقعة عليهم على الجزاءات المعتادة بل أمتدت لتشمل ذويهم الذين كانت تأخذ منهم رهائن في بعض الأحوال لقد احتكر ملوك المملكة الحديثة بعض الأنشطة الاقتصادية حتى الدولة كانت تحدد المساحة التي يتعين على الفلاح زراعتها ببعض المحاصيل، كما كانت تنظم حق المزارعين من الانتفاع ببعض الأراضي الزراعية¹ أما عن كيفية معرفة مساحة الأرض التي كانت تعد اساسا في تقدير الثروة الزراعية فقد استخدموا الحبل ذا العقد توطئة لجباية الضرائب عليها من جهة وللتأكد من عدم التلاعب في الحدود من جهة اخرى ، ووجدت صور لفلاح في حقله وقد نقش بجواره القسم الآتي " اقسام بالأله العظيم رب السموات أن الحدود الصحيحة في مكانها " كما وجد شاهد على جدران قبر (منا) بطيبة صورة تمثل عملية المساحة يجريها المساحون بحبل ذي عقد وكانت الضرائب التي تفرض على الفلاحين فهي عبارة عن ضرائب تؤدي في صور محاصيل عينية وخدمات لم تختلف تماما في أيام الرومان لأن منح حق استغلال الأرض الزراعية المملوكة للأهلين في مجتمع زراعي كمصر إنما كان يصدر عادة من كبير المجتمع مقابل تقديم مواد غذائية له أو إعالته لمدة أيام معلومة أو مقابل قدر معين من الحنطة أو عدد من الماشية، وقد استمر العمل بهذه الضرائب الى عصور متأخرة من تاريخ مصر القديم² ويتضح من بعض الوثائق التاريخية أن ضريبة الأراضي الزراعية كانت تقدر بنسبة خمس الإنتاج الزراعي شأنها في ذلك شأن أغلب الضرائب الأخرى مثل ضريبة التجارة أو إنتاج مصايد الأسماك، وتؤكد الوثائق

¹ - موسى، أحمد رشاد ، المرجع السابق، ص209

² بيري، سيروم فمندرز ، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ترجمة: حسن، (محمد جوي وعبد المنعم عبد الحميد)، البيعة العامة

للكتاب، القاهرة، 1975، ص119

في عصر المملكة الحديثة أن الملوك كانوا يراعون اعتبارات العدالة والتيسير عند فرض الضريبة أو تحصيلها فغالبا كان سعر الضريبة يختلف تبعا لدرجة خصوبة الأرض وتبعاً لحجم فيضان النيل، ورغبة في التيسير على الممول كانت الدولة تقبل أداء الضريبة على دفعات ، كما كانت تتنازل أحيانا عن كل أو جزء من الضريبة بصفة دائمة أو مؤقتة إذا كان هناك مبرر لذلك وحتى يتم تحديد الضرائب بطريقة عادلة كانت الدولة تكلف بعض موظفيها بأعداد تقارير دورية عن منسوب مياه النيل حتى تضع ذلك في الاعتبار في تحديد سعر الضريبة أما أسعار الأراضي فأن أقدم تقييم موثوق فيه عن أسعار الأراضي فيرجع لعهد توحتمس الثالث، فالأرض التي تبلغ مساحتها أرورا واحدا تساوي خمسة عشر غرام من الفضة وهو سعر بخس جدا بالمقارنة بأسعار العبيد ، ومن ناحية أخرى كانت المقارنة بين سعر الأرض وقيمة ما تدره من محصول في عصر الرعامسة أمرا يصعب التأكد منه في حدود السنة الواحدة حتى لو احتسب قيمة المحصول قبل استقطاع الضرائب والبذور اللازمة لزراعة السنة التالية وإيجار الأرض إذا كانت مستأجرة ، ومع أن عصر الرعامسة كان غنيا بالمعلومات عن سعر الحبوب إلا أنه لم يذكر شيئا عن أسعار الأراضي الزراعية وهكذا تعددت أنواع الملكيات في مصر القديمة عبر العصور الطويلة فظهرت الملكية الفردية والملكية الأسرية المشتركة والملكية المطلقة وملكية المنفعة ، ومنها أجرى عليه كل أنواع التصرف القانونية ومنها ما هو موقوف على معابد الالهة والمعابد الملحقه بأهرام الملوك ومعابد الكهنة القائمين على خدمتها ، إلا أنه كان هناك فرق واضح بين أملاك الشعب بل بين أملاك الدولة والفرعون على الرغم من اصرار النصوص على رد ملكية الأرض ومن عليها إلى الفرعون وريث الالهة وصاحب الحق المقدس¹.

الآلات والأدوات الزراعية: كان المصريون القدماء يتخذون من الحجارة أدوات القطع الأشجار ومناجل لحصد الغلال، وقد استخدموا آلات الزراعة وأدواتها ما يزال يستخدم حتى يومنا هذا بعد إجراء تعديلات على هذه الآلات ومن أولى هذه الآلات الفأس: تعد الفأس أول أداة أبتكرها المصريون القدماء فهي من أقدم أدوات الزراعة وقد أستعان بها في عزق الأرض منذ عصر ما قبل الأسرات ، وحلت محل اليد عندما أراد حفر الأرض لزرعها ، ومنذ عصر الأسرة الخامسة صنعت الفأس من النحاس ثم من الحديد وبعد ذلك أخذت تتطور حتى أخذت أشكالا مختلفة ، أما في عصر

1-عطا زبيدة، الحياة الاقتصادية في مصر، دار الأمين للنشر والتوزيع ، القاهرة، 1994، ص 19

المملكة الحديثة فقد أستعمل نوع من الفئوس ذو أطراف طويلة لتفتيت الارض، وقد عثر على فئوس متنوعة بعضها مصنوع من الخشب في كثير من القبور في الدير البحري في طيبة المحراث : كان المحراث حتى عصر الرعامسة الألة البدائية التي صنعها الفلاحون المصريون الأوائل في العهود القديمة وحتى في العصر المتأخر والذي يضم الأسرة السادسة والعشرون حتى الأسرة الثلاثون (664-332 ق.م) ظلت كما هي ولم تستبدل بغيرها وهو عبارة عن عمود ينتهي عند الأرض بسكين غير محكمة يثبتها في مكانها سير يتحكم في زاوية الحرث ، وفي نفس النهاية مقبض يتحكم في عمق الحرث ويجر هذا المحراث ثورين كبيرين وقد زاد طول المقبضين في عهد المملكة الحديثة وزودا بأماكن للأيدي ، كما أستبدل الناف بأخر لا يربط الى القرون بل يشد الى العنق ويمنع انزلاقه بربطه الى الصد، وهذا النوع من المحارث لا يقلب الأرض بل يشقها فقط وكان يقوم بالحرث رجلان أحدهما يقبض على يد المحراث رافعا سوطه ليحدث صوتا في الهواء فيتحرك الثوران ثم ينثني ويمسك بالمحراث بكتلتا يديه ضاغطا عليه بكل قواه، أما زميله فهو يقود الثوران وفي بعض الأحيان لا يكون هذا الزميل سوى طفل صغير وسيلته السيطرة على المواشي هو أن يصرخ فيها وقد عثر على صور لمحارث تعود الى هذه المدة وكانت عبارة عن معازق شفراتها وخطاطيفها منفصلة وشفراتها مجدافية الشكل لتصبح ثنائية الغرض لتفتيت التربة وجرفها ومن الصور المألوفة على جدران قبور هذا العصر ما يمثل الفلاح وهو يقبض بيده اليمنى على المحراث بينما يشاهد احيانا يلوح بيسراه في الهواء بسوط أو عصا لحث الثيران على السير إذا لم يكن معه زميل آخر وتوجد صور أخرى على أحد جدران قبر (سن نجم) بدير المدينة بطيبة ، في زمن الأسرة التاسعة عشرة، حيث يشاهد أحد السراة وهو يجرث الأرض ، ولا يعرف تماما متى بدأ تقوية خشب المحراث بألواح معدنية ، الا انه يوجد في متحف برلين نموذج المحراث قد كسى بألواح من الحديد من عصر المملكة الحديثة أستعمل لحرث الأرض الصلبة ومنذ ذلك الوقت تطورت حياة الفلاح من ثقافة الفأس الى ثقافة المحراث، ويمكن أن نسمي هذا الاختراع بأنه أول أبتكار ميكانيكي للزراعة للزراعة ، إذ كان بداية لعصر جديد أصبح الإنسان فيه قادر على تسخير الحيوانات ويمكن القول أن الإنسان إستطاع أن يحصل على طاقة أكبر من القوة البشرية للمرة الأولى في زراعة الحقول¹.

¹ محمد الدين الخطيب ، مصر أيام الفراعنة، منشورات علاء الدين، دمشق، 2001، ص 129.

الات وادوات الري : أدرك الأنسان المصري القديم منذ أقدم العصور أن ماء النهر هو عماد حياته فجهد في تهديب النهر وشق القنوات والترع حتى غدت بلاده شبكة من القنوات يوجهها إلى أرضه الصالحة للزراعة ، كذلك حرص على رعاية القنوات وتطهيرها وتعميقها وتخليصها من الغرين الذي يسد مسالكها وهذا أمر بالغ الأهمية لا يقل خطورة عن أمر الزراعة نفسها ، ولم تكن القنوات والترع لتصل إلى بعض الجهات المرتفعة الصالحة للزراعة، ولذا نراه منذ أقدم العصور اخترع الساقية والشادوف للتغلب على هذه العقبة¹ وقد عرف الشادوف منذ عهد ما قبل الأسرات أو منذ الأسرات الأولى وعثر على جزء من الشادوف في أحد قبور طيبة وعثر أيضا على صورة بأحد جدران قبور طيبة للمملكة الحديثة تمثل عاملا يروي الأرض بالشادوف، كذلك الصورة على أحد جدران قبر آبي بدير المدينة من عصر رمسيس الثاني صورة تمثل عاملين في حديقة معبد وهما يرويان بالشادوف² ويتكون الشادوف من عمود قوي رأسي يبلغ طوله ثلاثة أمتار ونصف يثبت بالأرض على حافة المياه ، وإذا وجدت شجرة تصلح لذلك في المكان المناسب نزع فروعها ، ثم يثبت عمود طويل أفقيا فوق العمود الرأسي وبذلك يمكن أن يتحرك في مختلف الاتجاهات ، ويثبت حجر ثقيل في نهاية العمود الأفقي ، أما في الطرف الآخر فيثبت وعاء من الجلد أو الفخار بحبل يبلغ طوله حوالي خمسة أذرع ثم يشد الحبل فيمتلىء الوعاء بالماء ثم يتزل الحبل فيرتفع النقل المقابل للوعاء وعندما يصل الى حافة الحوض تصب فيه المياه ثم تكرر العملية ، وعلى الرغم أن هذه الطريقة بدائية إلا أنها تفي بالغرض ويحتاج الشادوف الى رجلين للعمل فيه وقد عرف المصريون القدماء إلى جانب الشادوف أداة أخرى لسحب المياه وهي الساقية وهي طراز يشبه السواقي، وقد كشف عن ساقية في منطقة تونا الجبل من عصر آواخر الأسرات أو العصر اليوناني الروماني تستجلب الماء من عمق ستة و ثلاثون متر على مرحلتين ، ويعتمد في المرحلة الأولى على الدلاء لسحب الماء من اعماقه الأولى الجوفية إلى ارتفاع عشرين متر ثم تصب الدلاء في قنوات توصل إلى حوض كبير تسحب منه الساقية المعروفة التي تدار بالثيران (ماء البئر) وهو عمل هندسي يسترعي الإعجاب من غير شك ويظن العالم الفرنسي هنري جاسبارد دارسي الذي بني نظام توزيع الماء في ديجون في فرنسا أنه شاهد ساقية عندما كان ينظف بئرا في الدير البحري بطيبة

¹ - عمي، سعيد إسماعيل، التربية في الحضارة المصرية ،عالم الكتب، القاهرة، 1996، ص27

² - نظير،وليم ، الثروة النباتية عند قدماء المصريين ، البيئة المصرية العامة لتأليف والنشر ، القاهرة، 1971 ،ص33

من عصر المملكة الحديثة ،وظهرت أدوات للرى أخرى الأ أنها استخدمت بعد حكم الملك الحديثة بعدة قرون كالصنبور الذي لم يعثر على رسم له على جدران القبور¹ لذلك يعد الري والزراعة هما عصب الحياة الاقتصادية في مصر .

المحاصيل الزراعية: عرفت مصر في عصر المملكة الحديثة الكثير من المحاصيل الزراعية التي ورثتها عن العصور السابقة، وفي نفس الوقت حرص بعض ملوك هذا العصر على جلب الكثير من النباتات، وكان أهمها القمح والشعير بأنواعهما المختلفة² وظلت زراعة الحبوب الزراعة الأساسية في مصر طوال عهود التاريخ، وكانت حقول القمح والشعير تمتد دون انقطاع من مستنقعات الدلتا حتى الشلال الأول وقد عثر على حبوب القمح في قبر أحد الكهان من عهد توحتمس الرابع من الأسرة الثامنة عشرة، كما عثر على عيدان قمح في تل العمارنة ووجدت مقادير من القمح في قبر توت عنخ آمون بطيبة ، كما وجد قمح عار واغلفة من حبوب القمح بالدير البحري بطيبة ، ووجدت ايضا أغلفة من حبوب القمح غير المكربن قد نخرها السوس في أحد قبور دير المدينة بطيبة ايضا، كذلك عثر على أغلفة من حبوب القمح في أحد قبور الرعامسة من الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، وقد مثل المصريون زراعة القمح على جدران كثير من القبور وبخاصة (تي) و (مروركا) بسقاية وبني حسن ونخت بطيبة في صور منفصلة عثر عليها على أحد جدران قبور طيبة أما الحمص فقد عرفته مصر في عصر المملكة الحديثة ، أما فيما يخص النباتات الزيتية وكان أهمها الكتان والخس والخروع والقرطم والزيتون والعرعر وتدل بعض الوثائق أن رعمسيس الثالث قد اهتم بزراعة الزيتون وأقام مزرعة كبيرة لزراعته حول معبد الشمس في مدينة (أون) أو عين شمس الحالية ، كذلك من المناطق التي اشتهرت بزراعته أقليم الفيوم ، كذلك العرعر لم الأ في عصر المملكة الحديثة كذلك كانت زراعة الكروم في الدلتا متقدمة عن أي زراعة أخرى ، ولو أن اكثره كان يعد لصناعة النبيذ اكثر مما يؤكل فاكهة ، وكانت أسرة الرعامسة التي نشأت في أواريس (الدلتا) تهتم بهذا المحصول وبذلوا الكثير لتحسين زراعة الكروم حتى انه كان في الأماكن عمل خريطة لمواقع الكروم المصرية، ومنها قول رعمسيس الثالث "لقد زرعت لك كروما في

¹ - نظير،وليم،المرجع السابق،ص6

² - حزين، سليمان، حضارة مصر (أرض الكنانة)،دار الشروق،القاهرة،1991، ص84

واحات الجنوب والشمال وعينت لها عمال من بين الأسرى الأجانب وحفرت لها أحواضا ملئت بنبات النيلوفر، لقد سال الخمر لتقدم لك في طيبة المنتصرة " وقد صورت كثير من المشاهد للرسوم والنقوش القاطنين المنتشرين تحت عناقيد الكروم ويملاؤون مقاطفهم في حذر حتى لا يتبعثر العنب، ثم ينصرفون وهم يغنون حاملين مقاطفهم فوق رؤوسهم ليلقوا ما فيها في الدنان الكبيرة ثم يعودون بعد ذلك الى مكان الكروم¹ كذلك عرف المصريون العدس وكان يظن أن موطنه جنوب غرب آسيا وبخاصة في سوريا ، وقد ورد ذكر العدس في أوراق البردي في هذا العصر بأسم (عرشا) وعرشانا ، ووجدت رسومه لأول مرة على جدران معابد الأسرة التاسعة عشرة وذاعت شهرة العدس في مصر وما جاورها من البلاد كذلك زرع المصريون القدماء القرع والبصل والنانج وقد استخدمت كأنواع من الخضر كما استخدم بعضها في الأغراض الطبية .

كما عشق المصريون القدماء الزهور وخاصة في هذا العصر الذي شهد ازدهار احوال مصر الاقتصادية ، وكانوا يقدسون بعضها ويتزينون بها خاصة النساء ويعدوها رمزا للترحيب بمن يجيئونهم لذلك اكثر في زراعتها ، وكانت أهم الزهور التي عرفتها مصر زهرة اللوتس سواء اللوتس الأبيض أو الأزرق، أما الأحمر فقد جلبه الفرس لمصر عام (٥٢٠ ق.م) وقد احتلت هذه الزهرة مكانا بارزا في حياة المصريين القدماء كما تغنوا بها في احتفالاتهم وأعيادهم، حتى أن توحتمس الثالث أقام حجرة للنباتات في إحدى قاعات بهو الأعمدة بمعبد الكرنك بالأقصر، وتدل النقوش والصور التي سجلت لهذه النباتات أتسامها بدرجة عالية من الدقة والروعة بحيث أصبحت مرجعا هاما لعلماء النباتات المعاصرين، وعرفوا أيضا زراعة نخيل البلح والتوت وغيرها من المحاصيل الزراعية .

الثروة الحيوانية: تعد القسم الثاني للزراعة والتي لا تكتمل بدونها صورة البيئة الريفية في وادي النيل² إذ عثر على صور كثيرة للحيوانات بين رسوم المقابر من جميع العصور وعرف المصريون القدماء أنواع عديدة من الحيوانات ومنها الثور ذو القرنين الكبيرين ، وأنواع عدة من الغزلان وأصطادوا الزرافة للأستثناس والفهد وفرس النهر الذي استخدموا أسنانه منذ عصور ما قبل

¹- الدين الخطيب محمد، المرجع السابق، ص129

² - موسى، أحمد رشاد، المرجع السابق، ص229

الأسرات في صنع مقابض الخناجر كذلك اهتموا بالأبقار فكانت ترمز للالهة حتحور آلهة الحب والجمال والسماء ، وكان يغلب على الأبقار والثيران اللون الأبيض أو الأبيض المرقط.

المبحث الثاني: الصناعة

شهد عصر المملكة الحديثة وبالأخص عصر الأسرة الثامنة عشرة توسع وتطور ملحوظ في بعض الصناعات القديمة، كما شهد ظهور صناعات جديدة لم تكن معروفة من قبل¹ ولا شك أن ما وصل من أنباء عن علوم المصريين هو النذر اليسير، كما أن الناظر لأهرامهم ومعابدهم ومسلاتهم الهائلة ليعجب كيف أستطاع أن يشيد ذلك من لم يعرفوا قوة البخار والأتة الرافعة أو الحديد أو الفولاذ، أما عن نبوغهم في مجالات الصناعة فهي كثيرة ، فقد أستعملوا الذهب في التذهيب بلصق أوراقه على ما يراد تذهيبه وأستعملوا البرونز في المرايات والدروع ، كذلك اكتشفوا صناعة الزجاج وتلويينه وكثير من الصناعات الأخرى وتعد الأصالة صفة من صفات الحضارة المصرية وينطبق هذا الرأي أكثر ما ينطبق على الصناعة ، إذ استغل المصري القديم المواد التي قدمتها له بيئته.

الصناعات الأستخراجية: أهتم ملوك المملكة الحديثة بالصناعات الأستخراجية فواصل الأهتمام بتأمين استغلال مناجم الصحراء الشرقية ويتضح من رسائل تل العمارنة الخاصة بمدة حكم أمنحوتب الثالث بالذات أن أنتاج مصر من الذهب خلال عصر المملكة الحديثة كان وفيرا لدرجة أن حكام منطقة الشام أرسل يرجو أمنحوتب أن يرسل له ذهباً مدعماً هذا الطلب بقوله "أن الذهب كالتراب في مصر " وكان النحاس أول معدن وفق المصريون القدماء في العثور

عليه واستخراجه من مناجم سيناء والذي حفظ منه العدد الوفير من الأواني والأسلحة والأدوات منذ فجر التاريخ، أما خلط النحاس للحصول على البرونز فيبدو أنه نشأ منذ الدولة الوسطى لكن لم يحل البرونز محل النحاس النقي في صناعة الأدوات الأ في عصر المملكة الحديثة ، وكان لصناع المعادن محالهم الخاصة التي يعملون بها وكانوا يبدؤون بوزن الخامات، وعلى جدران المقابر صورت مناظر الرجال ينفخون في النار بأنابيب يحمي أطرافها السفلي من الاحتراق غشاء من طمي النيل ، وفي مستهل الأسرة الثامنة عشرة تظهر أيضاً منافع حقيقية يقوم على كل اثنين منها رجل واحد²

¹ - موسى، أحمد رشاد، المرجع السابق، ص238

² - محمد الدين الخطيب ، المرجع السابق، ص178

وقد وجدت في مقبرة توت عنخ آمون آثار نحاسية كثيرة كان من ضمنها عدد من الآلات الصغيرة الخاصة بالتمثيل المجيبة (الشوابتي) وكان البرونز يصاغ كالنحاس بالطرق أو الصب وتظهر عملية صب المعادن في النقوش المصورة على جدران مقبرة رخمارع بطيبة من عصر الأسرة الثامنة عشرة وهي تمثل بايين لمعبد آمون بالكرنك ، ووجدت أيضا مثل هذه المناظر الخاصة بعملية الصب منقوشة على جدران مقبرتين أخريتين من الأسرة الثامنة عشرة أيضا حتى أن بعض المعادن وخاصة النحاس والذهب والفضة تطرق لعمل الواح رقيقة منها، وكانت تحلى القصور الفخمة والمعابد وحتى المقابر في عصر المملكة الحديثة بقطع من أمثال هذه المعادن المطروقة وخير مثال ما ضمته مقبرة توت عنخ آمون من محتويات صنعت من الذهب كالأقنعة والتوايت، كذلك القرايين والمذابح والزوارق وعربات المواكب حتى أنهم كانوا يعتقدون أن الذهب يطيل الحياة بالنسبة للعالم الآخر ويمنع عنه الفساد لذلك كانوا يضعون كميات كبيرة من الذهب مع الميت.

صناعة الزجاج: تعد مصر من أوائل دول الشرق الأدنى القديم أنتاجا للزجاج وذلك لأن التحليل الكيميائي لحزرة في متحف برلين من مقبرة تعود لعصر فجر التاريخ أثبت أنها من الزجاج، ومنذ عصر المملكة الحديثة بدأت هذه الصناعة بالتطور، إذ عثر على أواني كاملة من الزجاج تعود إلى عصر الملك توحتمس الثالث ، وأخذ المصريون يضيفون على الزجاج اي لون يريدونه فقاموا بتلوين الكؤوس والأنيات وجميع المصنوعات الزجاجية وكثيرا ما أفتنوا في زخرفة الأنيات وأحكام أشكالها أحكاما شبيها بالصناعات الأغريقية وقد وجدت بقايا عدة مصانع للزجاج وكان أقدمها عهدا ما وجد بطيبة ، ويرجع تاريخه إلى عهد الملك امنحوتب الثالث ويلى هذا ثلاثة أو أربعة مصانع وجدت بالعمارنة من عهد الملك أخناتون.

صناعة الغزل والنسيج: تعد صناعة النسيج من أقدم الصناعات التي مارسها المصريون القدماء، إذ وجدت منسوجات في مصر منذ العصر الحجري الحديث¹ ولكن هذه الصناعة تطورت بشكل ملحوظ في عصر المملكة الحديثة ، ففي عصر الأسرة الثامنة عشرة عرف المصريون الرسوم الملونة على الأقمشة أثناء عملية النسيج، وكانت الأقمشة تلون بأشكال دقيقة وبديعة كما كانت تزين

¹ - لو كاس، الفريد، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة: زكياسكندر ومحمد زكريا ، مكتبة مدبولي، القاهرة ،

بأستخدام الحروف الهيروغليفية وأدخلت عليها بعض التعديلات من خلال الرسوم التي عثر عليها إذ يلاحظ مشطاً منصوبة لها دعامتان عموديتان مثبتان في الأرض بشكل يسمح بتحريك الماسكين الأسفل والأعلى ، وتؤكد النصوص أن النساء كن يقمن بدور كبير في صناعة الكتان وهذا ما يتفق مع ما تظهره مناظر المقابر من وجود نساء يعملن على الأنوال، بل أن منهن من تعمل على مغزلين في وقت واحد وتقتل كل مغزل من نوعين من الكتان .

وكان النساجون يضعون أنسجة موشاة بصور ملونة، وقد عثر على أقمشة كتانية موشاة بأسلاك الذهب في قبر الملك توحتمس الرابع بطيبة ، كما عثر على بعض الأقمشة الكتانية الموشاة بالصور الملونة وبعض حالات من شغل الأبرة والتطريز في قبر توت عنخ آمون بطيبة.

صناعة الصباغة: عرف المصريون القدماء الصباغة والتلوين منذ أقدم العصور وكانت الأصباغ تستخلص عادة من المواد النباتية التي توجد في البيئة، ومن بين هذه النباتات كان نبات الحناء والقرطم والسنط والرمان¹ وقد اهتم ملوك المملكة الحديثة وخاصة عصر الرعامسة بجلب شجرة الحناء من الخارج لزراعتها في مصر وكان من بين هؤلاء الملك رمسيس الأول الذي أمر بغرس شجرة الحناء في حديقة معبد الكرنك، ويبدو أنها كانت من الأشجار المقدسة لدى المصريين، كما أدخل الرمان في عهد الملك توحتمس الثالث الذي جلبه من سوريا.

صناعة الجلود : تعد صناعة الجلود من أولى الصناعات التي أبتدعها المصريون وبرعوا فيها² وكانت الجلود تدبغ بالزيت وبمواد أخرى ثم يترع الشعر منها ثم تنشر على أطار حيث يتخذ الجلد الشكل المرغوب ، وبعد ذلك يمكن صناعة الصنادل والسيور لتهيئة العربات وعجلاتها والخيول والحقائب والوسائد والقرب وبعض الدروع والسروج وكانت الجلود المحزمة التي تشبه الشباييك من أجمل صناعة الجلود ، وكان بعضها ذات أشكال منتظمة وجميلة ولذلك كانت تغطي بها المقاعد والأرائك ، حتى أنها كانت تلبس فوق الملابس لوقايتها وزيادة دفتها ، وأستعملت الطبقات العاملة الكادحة مصنوعات جلدية أشد صلابة وأكثر متانة من التي يلبسها الأثرياء المترفون ، وعلى الرغم من أن صناعة الجلود وتجهيزه ودبغة كانت من الصناعات القديمة، إلا أنها شهدت درجة ملحوظة

¹ - موسى، أحمد رشاد، المرجع السابق، ص242

² - بيري، سيروم فمندرز، المرجع السابق، ص256

من التطور و الرقي في عصر المملكة الحديثة ، وقد تفوق صناع هذا العصر في صناعة الدباغة إلى حد كبير، واستخدموا الألوان الأخضر والأحمر والأصفر التي كانوا يحصلون عليها من النباتات في تلوين الجلود.

المبحث الثالث التجارة وطرق المواصلات:

كانت الملاحة النهرية مهمة في مصر القديمة إذ كانت تنقل على متن القوارب المصنوعة من البردي الأمدادات الغذائية والأحجار لبناء المعابد والبضائع التجارية وذلك عبر نهر النيل الشريان الرئيسي للبلاد نفس الوقت أقامت مناطق مكوس على التجارة وفي البعض الآخر على التجارة ومرور الأفراد واستخدموا أيضا الثيران لجر الاحمال الثقيلة وبخاصة الأحجار الضخمة التي كانت تحمل على جرارات كذلك استخدموا للمواصلات البرية القصيرة المحفات وقد بذل ملوك المملكة الحديثة جهودا مستمرة لتأمين الأسواق الداخلية وكفالة استقرارها وضبط الأسواق وحماية المعاملات، وكان التنظيم الإداري والقانوني سائدا وكان يستلزم توثيق وتسهيل وشهر التصرفات التي ترد على العقارات والممتلكات الأخرى ، كما كان يتعين ختم كافة الوثائق الخاصة بالعقارات وكان وراء ذلك رغبة الدولة في المحافظة على الثروة العقارية من أذعاءات المدعين¹ حتى أن الحكام والنبلاء كانوا يتباهون بنشر الأمن والطمأنينة والعدل والأحسان بين الناس في كافة أنحاء الأقاليم التي يحكمونها في سنوات القحط والرخاء على السواء.

بدء المصريون القدماء الاتصال بجيرانهم من بلدان الشرق الأدنى القديم في آسيا، وخاصة مع الشواطئ الفينيقية حيث أخشاب الأرز وفي الغرب ليبيا ثم إلى الجنوب بلاد النوبة، وقد توطدت هذه العلاقات خلال المملكة الوسطى وزادت أكثر خلال المملكة الحديثة التي عנית بتوسيع شبكة مواصلاتها وتقوية صلاتها مع الدول الأخرى ، كما أخذت السفن الأجنبية تتوافد على الموانئ المصرية بصفة مستمرة وتفرغ مشحوناتها من البضائع لمقايضتها بالمنتجات المصرية ، وقد استطاع الأسطول المصري في مستهل المملكة الحديثة من أخضاع ملك قبرص وبسط سلطانه على جزر كريت وبحر إيجه، وقد سجلت تلك الانتصارات على إحدى مصاطب معبد الكرنك

¹ - موسى، أحمد رشاد، المرجع السابق، ص254

أذن كان هذا الاتصال أحيانا يكون حريبا وأحيانا يكون سلميا عن طريق التبادل التجاري أو الدبلوماسية، وقد نشأ تبادل تجاري على نطاق واسع فكانت السفن المصرية تجوب البحرين الأبيض الى آسيا أو عن طريق البر والبحر الأحمر للاتجاه جنوبا حيث سواحل أفريقيا وبلاد البونت ، فكانت مصر تستورد من سواحل الشام المصنوعات الجلدية، ومن الغرب كانت مصر تستورد من ليبيا الزيت ومن الجنوب من بلاد النوبة والسودان العاج والريش والبخور وخير شاهد ما قامت به الملكة حتشبسوت في العام السادس من حكمها بأبحار خمس سفن لبلاد البونت لأحضار منتجات من هذه البلاد من ذهب ووعاج وابنوس¹ ويذكر أن الملكة حتشبسوت اتبعت سياسة سلمية تهدف إلى التوغل التجاري الثقافي المنفعة مصر، بالإضافة إلى اهتماماتها بتحقيق إصلاحات وأمجاد داخلية بدلا من الانتصارات العسكرية الخارجية، وهي بذلك اتبعت سياسة تختلف عن سياسة الملك توحتمس الثالث الذي كان يرى أتباع سياسة حربية خارجية من أجل إنشاء دولة مصرية كبيرة عن طريق التوسع وراء حدود مصر الجغرافية وضمان السيطرة على التجارة الخارجية عن طريق الجيش والأسطول المصري وبذلك يظل لمصر نفوذها الدائم كذلك في عهد الملك امنحوتب الثالث اتسع نطاق التجارة الخارجية ولا أدل على ذلك من وجود أواني فخارية مصقولة وجعارين خاصة به وبزوجته الملكة تي في ميكيثا ، وقد أتقن الأغريق تقليد المصنوعات المعدنية المطعمة التي كانت تصنع في في عهد احمس الأول إتقانا يصعب معه التفريق بين التقليد والأصل ، ووجد أيضا ضمن مخلفات قصر أخناتون بقايا لما يقرب من ثمانمائة آنية من صنع اقليم بحر إيجه² ومن الأهداف التي سعت مصر إلى تحقيقها من خلال علاقاتها الاقتصادية الخارجية هي توفير حاجة الأسواق المصرية من بعض السلع التي لا تتوفر داخل البلاد، كذلك تنمية وتطوير الزراعة والحرف المصرية فقد حرص ملوك هذا العصر على جلب النباتات والأشجار والحيوانات بالإضافة الى بعض المنتجات الصناعية التي اشتهرت بها بلاد الشام، ولتحقيق هذه الأهداف عمل بعض الملوك على جلب الصناع المهرة من منطقة الهلال الخصيب ، إذ أتسم عمال هذه بدرجة عالية من المهارة والذوق في إنتاج بعض المنتجات الصناعية ، ومن المؤكد أن هؤلاء الصناع قد أضفوا على المنتجات المصرية مسحة من الجمالية لم تكن معروفة من قبل وكان من بين السلع

¹ -احمد، سيد توفيق ، معالم تاريخ حضارة مصر الفرعونية ،القاهرة، 1991 ، ص281

² - بتري ،المرجع السابق ،ص285

المصرية التي كانت تحرص الممالك المجاورة لمصر على أستيرادها هي المتوجات الكتانية والنبيد والغلال وكانت المعاملات التجارية تتم بالمقايضة بالدرجة الأولى، وقد أستعمل المصريون القدماء الأوزان والموازين، كما أنهم أستعملوا قطعاً من النحاس معينة الوزن للتبادل منها قطع تزن نحو واحد وتسعون غراماً تسمى (دين) وأستعملوا الذهب أيضاً واسطة للتعامل، ولكن العملة لم تكن معروفة في مصر إلا بعد القرن الرابع قبل الميلاد إذ أدخلت من اليونان.

. التجارة عبر البحر الأحمر:

لقد ارتاد المصريون القدماء سواحل البحر الأحمر للحصول على نوعين من السلع أولهما البخور" ذوي الأهمية البالغة في طقوسهم الدينية، وثانيهما سلع الترف ذات القيمة الكبيرة في تصوير أبهة الملك ومظهرية سلطانه، وهذه السلع تتوفر على كلا الجانبين، الإفريقي والأسوي للبحر الأحمر¹.
موقع بلاد البونت: |

أطلق المصريون كلمة (أونت) (Aunt) بمعنى قلعة أو حصن على المستعمرات البونتية، ثم تحولت هذه الكلمة إلى "البونت"، ورد ذكر الكلمة في النصوص المصرية لأن التسمية خلت منها وثائق كل الشعوب القديمة سواء كانت أدبية أو مادية ومع أن البعض المختصين ذهبوا إلى القول بأن كلمة البونت تعود إلى كلمة (أون) بمعنى باب، وبالتالي فهي تعني باب المندب لكن الكلمة (أون) هاته ظهرت في فترة تاريخية متأخرة في حين يرى البعض الآخر بأن البونت هو تحريف مصري للإسم المحلي (بون poun).

وقد اختلف بعض المؤرخين في تحديد موقع بلاد البونت، والرأي الراجح المتفق عليه هو أن هذه البلاد تشمل الصومال وتمتد إلى بعض سواحل شرق أفريقيا، كما تمتد أيضاً إلى بلاد اليمن الجنوبية الواقعة في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، وبهذا امتد مدلول البونت بمعناها العام من سواحل البحر الأحمر في مصر إلى رأس جردفوى جنوباً خلال عصر الدولة الحديثة، حيث كان البونتيون وسطاء لتجارة الكندر بين مصر ومناطق انتاجه في الصومال.

¹ - المنعم عبد الحليم سيد، "حول العلاقات بين مصر وجنوب الجزيرة العربية في العصر الفرعوني"، مجلة المؤرخ العربي،

انقطعت العلاقات بين مصر وبلاد البونت وذلك بسبب اشغالها بحروب ضد الهكسوس من أجل التحرر واسترجاع وحدة مصر، فبعد هذا الانقطاع تعود العلاقات التجارية من جديد خلال عصر الدولة الحديثة، خاصة مع بعثة الملكة حتشبسوت، حيث ذكر عبد المنعم عبد الحليم سيد: "أن المصريين في هذا الفترة اكتشفوا مناطق أشجار الكندر في البونت، وبدأوا يحصلون على الكندر من مناطق انتاجه رأساً"، لذلك علينا الوقوف على ما حققته هذه البعثة من إنجازات.

وصف بعثة حتشبسوت إلى بلاد البونت:

لعل من أهم المراحل التاريخية التي شهدت ازدهارا واسعا في مجال التجارة الخارجية البحرية كانت في عهد الأسرة الثامنة عشر وتحديدًا في عهد الملكة حتشبسوت فمن المنطقي بعد فترة النضال المستمر في المرحلة الأولى من عصر الأسرة الثامنة عشر عهد الملك أحمس الأول أن تعقبها فترة الهدوء والاستقرار النسبي، سيما في عهد ولدي تحتمس الأول وهما تحتمس الثاني وحتشبسوت، إذ تميزت العلاقات في عهد تحتمس الثاني بالهدوء وسعي الجيش إلى توطيد الأمن في الأراضي التابعة للدولة في المنطقة الجنوبية والشمالية، وفي عهد الملكة حتشبسوت أخذت العلاقات الخارجية في مصر منحى جديدا تميز بالهدوء والاستقرار ودعم التوسع الخارجي عن طريق الاهتمام بالتجارة البحرية والبعثات الاستكشافية، ويمكن وصف هذه المرحلة بالسلمية أكثر منها عدائية وبمعنى آخر سعت الملكة حتشبسوت لتدعيم مملكتها ليس بالقوة العسكرية فحسب بل اتباع سياسة مغايرة تماما تقوم على دعم البعثات البحرية الاستكشافية والتجارة البحرية.¹

لم تكن هذه الملكة حتشبسوت "محبة للحروب ولم تخرج على رأس جيش بل سلكت موقفا سلميا، إذ جل ما قامت به هو توسيع التجارة المصرية مع جيرانها فوجهت أسطولها إلى بلاد البونت وذلك لتغطية حاجيات معبدها ومقبرتها، وقد حرصت على أن تسجل تفاصيل هذه البعثة على جدران ذلك المعبد، حيث اكتشفت هذه الرسوم من قبل بعثة المتحف الأمريكي "الميتروبوليتان" بنيويورك وضعت على رأس هذه الحملة رئيس الخزانة ويدعى (نحسي)، وكانت الحملة تتألف من خمس سفن يبلغ طول كل واحدة منها حوالي أربعة وعشرين مترا، أما العرض فستة أمتار، ويصل غاطس السفينة إلى مترين، وقد شيدت كلها من خشب الأرز الوارد من لبنان،

¹- سميرة الساحلي الجعراي، "رحلة حتشبسوت الى بلاد بونت 1496 ق.م"، مجلة القلعة، ع9، ص313

وجرى إعداد قلع "شراع" ضخيم مرتبط بجدار يبلغ ارتفاعه أكثر من تسعة أمتار وذلك المساعدة السفن عندما تكون الرياح مواتية هناك أيضا وعارضتان، وكانت الدفة تتكون من مجدافين كبيرين، وكل هذا للسيطرة على اتجاه الإبحار، وكانت السفن تتسع لحوالي مائتين وعشرة (210) شخصا يمثلون طاقم السفينة ، إضافة إلى ثمانية جنود ضباط¹ وتمثالا من الجرانيت الوردي يمثل الإله آمون كان الغرض منه إقامته على ساحل بلاد البونته.

أخذ الجدافون يقومون بكل قوة بدفع وانطلاق السفن الخمس وكانوا يبذلون جهدا مضاعفا للتغلب على صعوبة الصعود ضد تيار المياه الجارفة، وتوازروهم في ذلك تلك الشراع المدعمة بعارضتين والتي كانت رياح الشمال تعمل على نفخها ودفعها قدما نحو الأمام، وقد اتخذت هذه الحملة خط السير من النيل ثم سارت في قناة تحترق وادي الطميلات إلى البحيرات ومن ثم إلى البحر الأحمر، أما في الفترة السابقة فقد كان المعتاد أن تبدأ الرحلة من قفط على النيل ثم تحترق الصحراء عن طريق وادي الحمامات المشهور بمحاجره إلى القصير الواقعة على ساحل البحر الأحمر، وهناك كانت تبني السفن ليركها رجال الحملة إلى بلاد البونت، وكانت هذه القناة التي سبقت قناة السويس الحالية وهي التي نسمع عنها بعد ذلك بقرون قليلة على وجه التأكيد، يحتمل أنها كانت موجودة فعلا في عهد حتشبسوت".

وتوجد أخبار هذه البعثة بأجمعها منقوشة ومدونة في جدران معبد الملكة حتشبسوت في الدير البحري بمصر بالتفصيل مدعمة بصور وصفية لسفن أسطولها التجاري المصري إلى بلاد البونت.

بعثات تجارية إلى بلاد البونت بعد حتشبسوت

وهكذا أصبحت الرحلات البحرية إلى بلاد بونت بعد بعثة حتشبسوت متواصلة ، وانتظمت الصلات خلالها بين مصر ومناطق أشجار الكندر في بونت على ساحل الصومال الشمالي، وصار جلب أشجار الكندر وزراعتها في حدائق المعابد المصرية تقليدا متبعا يحرص عليه كل فرعون وقد

¹- تيريس بيدمان وآخرون، حتشبسوت من ملكة إلى فرعون مصر،، تر:على ابراهيم منوفي، الهيئة . المصرية العامة للكتاب

بلغ من انتظام هذه الصلات أن البونتيين كانوا يأتون إلى مصر بسفنهم وكان الموظفون المصريون يستقبلونهم على ساحل البحر الأحمر¹.

لقد قام الملك تحتمس الثالث (1504-1450 ق.م) بعدة بعثات تجارية نحو بلاد البونت وهذا ماتبينه حولياته وهاته البعثات جاءت بعد كل حملة عسكرية قام بها إلى بلاد آسيا، على غرار الحوليات هناك نصب على جبل البركل نقشته عليه عبارات يعد فيها الإله آمون بأنه سيحضر له أثنى ما تنتجه بلاد البونت ومن بين ما جاء فيه : "كل الحجارة الثمينة الباهرة وكل النباتات ذات الرائحة الزكية التي تنمو في البونت، كل شيء جميل بأرض الجنوب ، كل الذي يأتي من التجارة بيد فخامتي أقدمه لك".

كما أشارت مقابر بعض الأفراد التي تعود إلى زمن الدولة الحديثة إلى قيام بعثات تجارية، منها أربعة مقابر وجدت بطيبة تصور مشاهد عن بلاد البونت وأقدمها مقبرة بيوميري (Puyemres) التي تؤرخ بعصر تحتمس الثالث، وهي تصور فقط استقبال السلع وأمامها الملك، وتوحي الكتابة المرافقة لهذه المشاهد بأن البعثة سیرت إلى تلك البلاد خلال حكم الملك، وتنتهي بالإشارة إلى أسرى أحضرهم من بعيد نتيجة لعملياته العسكرية هناك لكن هذا لا يدل على أن هؤلاء البونتيين أسرى، إذ لم يثبت تاريخيا قيام هذا الملك بحملات عسكرية في بلاد البونت هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المصريين كانوا يشيرون إلى السلع التي كانت تجلب سواء عن طريق بعثات قاموا بها أو عن طريق وسطاء أحضروها إلى مصر بأنها جزية تدفع وليس كسلع تجارية، ومن جهة أخرى أن الأشخاص الأجانب الذين كانوا يأتون إلى مصر يصورون دائما على أنهم أسرى وهذا من أجل تغطية عظمة الملك وهناك منظر في المقبرة رقم 143 في طيبة من عصر الفرعون أمنحوتب الثاني (1425-1450 ق.م)، ويظهر فيه استقبال سلع البونت في الميناء على ساحل البحر الأحمر ونقلها على ظهور الدواب إلى وادي النيل، وظهرت شجرة كندر (لادن-البخور) يحملها رجلان، ومن أهم الرسوم في هذا المنظر الرسم الذي يمثل سفينتين شراعتين على شكل طوف له شراع مثلث ويرى بعض الباحثين أنها خاصة بنقل السلع من البونت إلى مصر ولكن يبدو هذا بعيد الاحتمال لأن بونت كانت في ذلك الوقت منذ عهد حتشبسوت تقع على

¹ - عبد المنعم عبد الحليم سيد البحر الأحمر وظهره في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1992، ص 21.

الساحل الشمالي الشرقي للصومال ولذلك يرجح أن مهمة هذه السفن الخفيفة نقل السلع بين الشاطئ وبين سفن شحن البوننتية الكبيرة الراسية في عرض البحر في المياه العميقة بعيدا عن المياه الضحلة القريبة من الشاطئ، أو أنها كانت لنقل السلع من المستوطنات البوننتية التجارية القريبة من مصر التي كانت مركزا للوسطاء الذين تشير اليهم نصوص حتشبسوت¹.

وهناك اشارات إلى المكان الذي تقابل فيه المصريون لتبادل سلعهم مع أهل البونت، من خلال قبر نفررونبت (-1279 1213 ق.م) (Neferrenpet) صانع الذهب والتمائيل من الأسرة الثامنة عشر في (ذراع أبو النجا يفهم من خلاله وجود سفن أهل بونت في البحر الأحمر، وأنه يوجد ميناء على ساحل هذا البحر لهذا الغرض إذ يحتمل أن تكون القصير الحالية الواقعة في نهاية طريق (قفط) الصحراوية، ويشاهد في هذا المنظر بقايا صورة (أمنمسو) بعربته وخيلها وأمامه أهل بونت يحضرون سلعهم التي كانت تحتوي على صموغ عطرية وجلود قردة وحيوانين حيين، ولم يظهر من الصور نوع السلع التي كان يتسلمها أهل بونت مقابل بضائعهم وانتهت العملية برجع المصريين إلى بلادهم.

التجارة مع الجزيرة العربية:

إن ارتياد المصريين لسواحل جنوب الجزيرة العربية، كان يعرض سفنهم لأخطار عبور البحر الأحمر الشهير بزوابعه الرعدية وتياراته العنيفة، وخاصة إذا علمنا أن المصريين استخدموا في البحر الأحمر نوعا من السفن يمكن أن نسميه السفن الخيطية أو المخيطية، وهي سفن تستخدم الحبال والخيوط في تثبيت ألواحها بدلا من المسامير المعدنية، وهذا ما يجعل السفينة قادرة على امتصاص الصدمات ضد الشعاب المرجانية - التي يشتهر بها البحر الأحمر. ولكن في مقابل هذه الميزة للسفن المخيطية فإنها كانت أضعف من السفن ذات المسامير المعدنية أمام العواصف والزوابع التي تعصف بها في عرض البحر الأحمر إذا حاولت العبور من شاطئه الإفريقي إلى شاطئه الآسيوي.

حيث كان لرغبة المصريين القدماء في الحصول على منتجات الكندر والمر والبخور الدافع الرئيسي وراء قيام العشائر القتبانية بدور الوساطة التجارية بين مصر وقبتان حيث جاء ذكر العشائر التي نشطت تجاريا تحت إسم الجبائتين أو الجبنتيو وذلك لدى المؤرخين الكلاسيكيين الذين أشاروا

¹ - عبد المنعم عبدحليم، المرجع السابق، ص 203

بدورهم إلى الجبانتين هم عشائر قتبانية عملت في مجال التجارة في أنهم كانوا ينتشرون من جنوب الجزيرة العربية نحو بوغاز باب المندب".

كما ورد بنص يرجع تاريخه إلى عصر الملك تحتمس الثالث بعد حملته السابعة على شرق آسيا، به أيضا لفظة جنبتيو، والتي تصف جماعة وفدوا إلى مصر في عصره يحملون إليه الهدايا من الصمغ العربي والبحور ويرجح أنها تشير إلى القتبانيين، وهم أحد الأقوام التي كانت تقطن جنوب شبه جزيرة العربية خلال تلك الفترة مما يدل على عمق العلاقات التجارية بين مصر والأراضي القتبانية¹ تميز عصر تحتمس الثالث بحركة تجارية واسعة نتيجة لكثرة الاتصالات والبعثات التي أمر بها خاصة باتجاه الجنوب، فأنشأ سفنا نيلية وأخرى بحرية لتمخر عباب البحر الأحمر إلى ميناء القصير وكان هذا الميناء القصير يعرف حركة نشطة في عصره".

على ضوء كل هذا يمكننا القول: |

أن ملوك الدولة الحديثة انفتحوا بتجارهم الخارجية مع البلدان الأخرى نتيجة ادراكهم ضرورة التبادل التجاري الخارجي ولحاجة مصر الماسة للمواد الأولية الضرورية ليجدوا ضالتهم في البحر الأحمر كونه ممرا يصلهم الى مناطق بلاد البونت.

- ¹ عبد المعطي محمد عيد أحمد، نشاط قتبان وعلاقتها بمصر القديمة، المعهد العالي لحضارات الشرق، مصر (د.ت)، ص 118

عنوان الفصل الرابع

المبحث الأول: الآلهة المصرية

المبحث الثاني: نشأة الكهانة وشروطها

المبحث الثالث : طقوس الجنائزي بمقابر الأفراد في الأسرة

الثامنة عشر

المبحث الرابع: المعابد معبد آمون بالأقصر

المبحث الأول: الآلهة المصرية

آتون Aten:

قرص الشمس» الذي لم يعبد قبل الدولة الحديثة ، ارتفع في عهد الملك «أخناتون» إلى أن يكون الإله الأوحد . كل في أول الأمر برأس صقر ، ثم كقرص شمس بأشعة تنتهي بيد آدمية تمسك غالبا علامة الحياة . من ألقابه : «الحرارة المنبثقة من قرص الشمس رب الأفقين ، الذي يتلأأ في افقه باسمه . كوالد لرع الذي عاد إلينا كاتون»¹ .

Amentet امتت :

ربة اسمها يعني «الغرب» ، حامية للموتى سكان الغرب . ارتبطت «بمحتور» إلهة الغرب الجميل».

آمون Amon :

الإله «الحفي» ، يظهر على هيئة رجل يلبس تاج تعلوه رىشتان ، ويتخذ شكل الإله «مين» في كثير من الأحيان ، كذلك مثل على صورة الكباش أو الأوزة . أول ما ظهرت عبادته كانت في إقليم طيبة . يعد أحد أعضاء ثامون الأشمونين ، ثم أصبح المعبود الرسمي للإمبراطورية الحديثة ، ولقب «ملك الآلهة» واندمج مع كبار الآلهة فأصبح «آمون - رع»، و«امون - مين»، و«آمون - خنوم» .

أوزيريس Osiris

أوزيريس هو الأسم اليوناني للاله اوزير من اشهر الالهة المصرية على مر العصور². الإله الذي قاسي من الشرور حتى الموت ، يمثل على هيئة رجل بدون تحديد الأعضاء جسمه . يلبس تاج «الاتف» ويقبض بيده على عصا الراعي ويساره على عصا «النخع» . أصبح حاكما لعالم الموتى . ومنذ وقت مبكر أصبحت أبيدوس أهم مركز العبادة . كانت مدينة «يوزيريس» (في الجنوب الغربي من مدينة سمنو (في الدلتا) أولى المناطق ظهر بها .

¹- ياروسلاف تشربي ، تر أحمد قادري، الديانة المصرية القديمة، مطابع الشروق، القاهرة، ص223

²- نور جلال، ملامح من فياض الحضارة في العصور المصرية القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2008، ص84

أولاد حورس Sons of Horus

أبناء حورس هم «إمستى وحابى ودواموتف وقبحسنوف» يقومون على حراسة «أوزيريس أثناء تخييطه ومن ثم يحرسون أواني الأحشاء الأربع . ويمثلون أركان العالم الأربعة¹ .

إيزيس Isis

أخت وزوجة الإله «أوزيريس» ، وأم الإله حورس» والتي حمته من أخطار كثيرة حيث لعبت دورا هاما كإلهة ساحرة . مثل دائما كامرأة تحمل علامة «العرش» على رأسها ، وأحيانا تلبس تاج عبارة عن قرنين بينهما قرص الشمس ، ربما كان اسم الالهة يعني المقعد أو العرش² وأخذت أشكال ومظاهر آلهة مختلفة . انتشرت عبادتها في أوروبا منذ العصر اليوناني الروماني . عبدت على هيئة القطعة ، اندمجت مع الآلهة «سخمت» في الدولة الحديثة . كانت مدينة بوباستيس (تل بسطة) مركز عبادتها .

تحتوت Thot إلى القمر ، رسول الآلهة ، ورب فن الكتابة ووسيط في الصراع بين «حورس وست» . رمز إليه بالطائر «إيبس» وأحيانا بالقرد . كان مركز عباته مدينة الأشمونين .
تفنون Tefnut كانت هي وأخيها وزوجها «شو» أولى المخلوقات التي خلقها «أتوم» من ذاته وحيدا . وهما يمثلان عينا «حورس» رمز الشمس والقمر . وكان مركز عبادتهما في مدينة «ليونتبولىس» بالدلتا . اتخذت هي و«شو» شكل الأمد .

جب Geb إله الأرض ، مثل على هيئة رجل . كان يعد قاضيا ، و«الأمير الوري» أو «أبو الآلهة» . تزوج من أخته «نوت» إلهة السماء وانجبا «اوزيبيس وإيزيس وست ونفتيس» .
حتحور Hathor ويعني اسمها «متزل حورس» أو «مقر حورس» ، وتعد من أشهر الآهات المصريات ، وهي «عين رع» التي دمرت أعدائه ، بالإضافة إلى أنها عبدت كإلهة للموتى في طيبة على وجه خاص . غالبا ما تشمل على هيئة امرأة تحمل تاجا عبارة عن قرنين بينهما قرص الشمس أو كبقرة وأحيانا نراها كلبؤة أو ثعبان أو شجرة . مركز عبادتها الرئيسي في دندرة حيث كونت ثالوثا هي وزوجها «حورس» رب أدفو وابنها «ريحي» .

¹ - ياروسلاف تشربي ، تر أحمد قادري المرجع السابق، ص225

² - مانفرد لوركر، تر صلاح الدين رمضان، معجم المعبودات والرموز، مكتبة مدبولي ، القاهرة 2000، ص67

حكا Hike تجسيد آدمي «للسحر» عبد منذ وقت مبكر خاصة في الدلتا وفي إسنا . يصحب غالبا الإله «رع» في مركبته .

Horus حورس

إن حورس هو من أكثر الإلهة المصرية تعقيدا واضطرابا فاحد علماء المصريات في القرن الماضي عرف خمسة عشر شكلا مختلفا لهذا الإله¹، إله قديم للسماء صورته المصريون على هيئة الصقر أو رجل برأس صقر . ومنذ بداية العصور التاريخية كان حورس رمزا للملك حيا أو ميتا . له عدة مظاهر من بينها «حور أختي» (حورس الأفقيين) و«حورس بن إيزيس»، و«حورس البحدث» (رب ادفو)، و«حورس سماتاري» (موحد الأرضين)، و«حورس باخرد» (حورس الطفل) . له دور كبير في الصراع مع الشر مثلا في عمه «ست» المغتصب للعرش من أبيه «أوزيريس» والذي انتهى بانتصاره آلهة ، يأخذ هيئة الانسان ، وعبد كخالق للعالم . يسافر في مركبه عبر السماء بالنهار وفي العالم الآخر في الليل .

مركز عبادته في هليوبوليس منذ القدم حيث يرأس التاسوع المكون منه ومن «شو وتفنوت وجب ونوت وأوزيريس وإيزيس وست ونفتيس». منذ الأسرة الرابعة أصبح الإله الرسمي للبلاد . اندمج مع آمون منذ الدولة الحديثة تحت اسم «آمون - رع» .

Renpet رنبت

تجسيد لعلامة «السنة» وهي تنتمي لآلهة منف وتمثل على هيئة امرأة تحمل علامة السنة على رأسها

Renenet رنوت

«المربية» إلهة القدر ، والتي ارتبط اسمها بالإله «شاي» .

Renenutet رننوت

يتكون هذا الاسم الذي يميز طبيعة الالهة من جزئين rann بمعنى غذاء وwtt بمعنى حية² « الحياة المربية » إلهة الحصاد وأم إله المحاصيل « نرى » ، كانت لها عبادة خاصة في الفيوم . نراها على هيئة الثعبان أو امرأة برأس ثعبان .

¹ روبرت ارموار، تر مروة الفقهي، آلهة مصر القديمة واساطيرها، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 2005، الجيزة، ص 69

² -مانفرد لوركر، تر صلاح الدين رمضان، المرجع السابق، ص 142

Satis سانت «ربة جزيرة سهيل». إلهة عبدت في منطقة «الفنتين» وما حولها من جزر . وهي على هيئة امرأة تحمل تاج الوجه القبلي وقرني وعل. كونت مع «خنوم وعنقت» ثالث «الفنتين» المسئول عن المياه الباردة لمصادر الفيضان . ومن ألقابها «سيدة النوبة» و«سيدة مصر»¹.

Sobek سبك عبد على هيئة تمساح أو على هيئة رجل برأس تمساح . كان ابنا للإلهة «نيت» ربة سايس . أهم مراكز عبادته «كروكوديوليس» (الفيوم) وكوم أمبو . اندمج في عصر لاحق مع الإله «رع» تحت اسم «سوبك - رع» .

Soped سبد إله من أصل آسيوي يمثل على هيئة صقر جاثم تعلو رأسه ريشتان عاليتان . أو رجل بذقن آسيوية تعلو رأسه ريشتان عاليتان أيضا. كان مركز عبادته في «بر - سبد». اندمج مع الإله «حورس» تحت اسم «حورسيده»².

Sakhmet سخمت اسمها يعنى (القوية) إلهة لها طبيعة وقوة اللبؤة مثلت غالبا على هيئة امرأة برأس لبؤة . عبدت في البدء في منف حيث كونت مع «بتاح» و«نفرت» ثالثا . وكانت تشفى من الأمراض ، وكعين للشمس المدمرة تهاجم القوى الشريرة . وهي إلهة للحرب المصاحبة للملك في غزواته . وفي أسطورة فناء البشر كانت «عين رع» التي فتكت بالبشر . ومن ألقابها عظيمة السحر .

selkis سركت «الإلهة التي تجعل (الخياشيم تنفَس) والتي تحمي المتوفي ، نراها في هيئة آدمية يعلو رأسها عقرب . أخذت «إيزيس» في كثير من الأحيان هيئتها ، وقد اشتركت معها في حماية تابوت المتوفي ومع «نفتيس ونيت» .

Seshat سشات إلهة الكتابة والمعرفة ، وصاحبة للإله «تحت» لعبت دورا هاما في طقوس تأسيس المعابد . صورت على هيئة امرأة يعلو رأسها رمزها المكون من سبع وحدات على شكل نجمة فوقها قرنين مقلوبين . ومن ألقابها «سفخت عبو» أي ردت القرون السبعة) .
Seshemu سشمو إله عصير العنب ، الذي يهدد المتوفي .

¹- ياروسلاف تشري ، تر أحمد قادري، المرجع السابق ، ص231

²-- ياروسلاف تشري ، تر أحمد قادري، المرجع السابق، ص231

سكر Soker إله الخلق والموتى ، عبد في منف . ارتبط مع «بتاح» ارتباطا قويا منذ الدولة القديمة ، وبعد ذلك مع الإله «أوزيريس» واندمج معهما تحت اسم «بتاح سوكر أوزيريس» نراه على هيئة صقر أو برأس صقر وجسم آدمى بغير أعضاء مميزة . كان ابنا «لحورس» في العصور المتأخرة

. المبحث الثاني: نشأة الكهانة وشروطها

من المعروف أن العبادات في مصر كانت تقام في أي معبد باسم الملك هو بأداء واجبه الديني نحو إله العاصمة أو الإله المحلي في المكان الذي يقيم فيه¹ الذي كان مسئولاً عن إقامة العبادات ، فضلا عن دوره السياسي والإداري والتشريعي ، وهكذا كانت واجبات الملك الدينية كثيرة ، فهو الذي يبني المعابد ويقدم لها الهدايا و هو الذي يمنح القرايين ، وهو الذي تمثله جميع صور المعبد ، وهو الذي كانت تقام له الصلوات في المعبد ، في حين لا يرد شيء عن شعبة التقى ، وفي الواقع فإن علاقة الملك بالآلهة انما تختلف تماما عن علاقة الآلهة بأي فرد من الرعية ، فهو بوصفه ملكا على مصر انما كان ابنا وخليفة للآلهة ، يقدم لها القرايين كأسلاف له ، كما كان يقدم أي فرد عادى قرايينه الأرواح أجداده ، ومن ثم فهو الكاهن الأول لكل اله في البلاد وبالتالي فقد كان عليه أن يقوم بالطقوس الواجبة نحو الآلهة وبدهي أن هذا انما كان أمرا محالا ، زمانا ومكانا ، ومن ثم فقد كان الملك ينسب عنه أولاده أو كبار موظفيه في الأقاليم ، على أن يقوم هو بأداء واجبه المديني نحو اله العاصمة ، وربما الإله المحلي في المكان الذي يقيم فيه ، وقد جاء في أحد فصول الشعائر «ان الآلهة قد أعدت الى السبيل ، وأن الملك هو الذي يرسلني لاختلاء طلعة الإله» ، فالملك اذن هو الذي يعين الكهنة الذين كانوا يختارون عادة من أسمى درجات المجتمع ، بل من الدم الملكي أحيانا ، وهكذا كانت مكانة الكهنة انما تقوم على أساس أنهم منووبون عن السلطة الملكية المؤلمة ، وكانوا يؤدون الطقوس الدينية اليومية في كل البلاد باسم الملك الفرعون .

واذا كان من الغريب أن المعلومات اللاهوتية لم تكن ذات بال إطلاقا عند تعيين أي كاهن وكان على الكاهن أن يقضي مدة من التدريب على الطقوس العبادة الصارمة².

¹ - أديب سمير :موسوعة الحضارة المصرية القديمة، دار العربي، 2000، ص687

² -سيرج سونيرون، تر زينب الكردي ، كهان مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1975، ص47

هذا ولم يكن الكهنة المصريون طائفة منعزلة تعيش على هامش المجتمع ولا تغشاه إلا لاستمالة الجماهير ، ودفعها نحو حياة خلقية أرفع مستوى وأقوى نشاطا من حياتها العادية ، وانما كانوا يقومون بدور نواب الملك صاحب الحق الوحيد في القيام بالخدمة الدينية ، وكان قوامها العمل على رعاية الإلهة على الأرض ممثلا في صورة متكاملة داخل قدسة في المعبد حيث طابت له الإقامة ، كما كانوا يشاركون في البناء الديني الملك فرعون الذي يقتضي المحافظة على العالم كما خلقته الإلهة ، الأمر الذي يتطلب النهوض به متخصصون فنيون ، وفيما عدا ذلك ، فهم مواطنون عاديون لا يختلفون عن غيرهم في شيء ، ولا يتميزون بأنهم من أصل الهي ، وليس عليهم هدى الجماهير أو اقناعها ، وقد يكونون هم أنفسهم مفكرين أحرارا أو قدسيين ، فذلك نتيجة استعادهم الشخصي ، ولا صلة له بنشاطهم المهني نفسه . ولئن لم تكن الكهنة تتطلب التزاما خلقيا معينا أو تدريبا فنيا ، فانه يطلب من الكاهن أن توفر فيه على الأقل شرائط معينة للطهارة الجسدية ، ولم تكن الدار المقدسة أو المعبد المصري يشبه ما نعينه الآن بمكان العبادة ، فهو ليس مكانا يذهب إليه المتعبد ليصلى للإله ، ولا هو بالدار التي تحتشد فيها الجماهير لممارسة الطقوس الروحية وتترقب أن يتجلى عليها الإله إبان الاحتفال¹ ، كما أنه ليس مكانا تقام فيه الشعائر المقدسة التي يؤم فيها أمام متخصص جمهرة من الناس ، ذلك لان المعبد المصري لا يستقبل الجماهير ، فمن الهيكل تقوم أبواب متعاقبة تحمي المكان المقدس ، وكلما توغلنا إلى الداخل زاد الإظلام حتى يصل المرء إلى قلب المبنى ، وعندئذ وفي رهبة متزايدة يدخل الزائر مدخل الهيكل المحكم الإغلاق ، حيث يستقر هناك التمثال المقدس الذي يتجسد المعبود ، ويبدو أن تمثال الإله صغير الحجم ، ففي (قدس الأقداس) كانت تقوم مقصورة فيها قارب فخم الزخرف يوضع فيه تمثال الإله ، الذي لم يكن في أغلب الظن يزيد ارتفاعه عن نصف متر ، وربما كان شبيها بتمثال الآلهة البرونزية الصغيرة ، التي وصل إلينا منها عدد كبير من مخلفات العصر المتأخر .

وقد كان القوم يحجبون هذا التمثال الشديد القداسة عن أعين الناس ، حتى أنهم لم يجرؤا ، ولو مرة واحدة ، على تصويره في رسوم المعابد ، وحتى صور قدس الأقداس لا يظهر فيها إلا القارب القدس . تزينه من الأمام والخلف رأس حيوان الإله المقدس ، أما بحارته فتمثال ملوك و آلهة ،

¹ -- محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص 526

وتقوم في وسطه مقصورة صغيرة على شكل المعبد، تسدل عليها أستار تغطيها وتحجبها عن الأنظار مبالغة في حمايتها ، وكانت الطقوس تقضى أن الكاهن بمجرد أن يرى مثال الإله عليه «أن يقبل الأرض وينطرح على بطنه ، ثم ينطرح مرة أخرى على بطنه ، ويقبل الأرض بوجه يتجه إلى أسفل ويطلق البخور ثم يحيى الإله بأنشودة قصيرة) ، هذا وقد كان على الكاهن أن يقوم بتزويد التمثال المقدس بالطعام والشراب يوميا، فضلا عن حمايته من الأرواح الشريرة التي يحتمل أن تفجأه بالأذى .

هذا وقد اشترط القوم إن تتوافر فيمن يسمح لهم بدخول المعبد والإقامة في رحاب الصنم الرهيب شروطا أولية من الطهارة البدنية ، ومن هنا كان الاصطلاح الذي يطلق على أكثر طوائف الكهنة انتشارا «الكهنة المتطهرون»

2 امتيازات الكهنة :

يذهب هيرودوت إلى أن الكهان إنما كانوا يتمتعون بامتيازات ليست بالقليلة ، فهم لا يستهلكون ولا ينفقون شيئا من ثرواتهم الخاصة ، بل يصنع لهم خبز مقدس ، ويصيب كل واحد منهم يوميا خمية كبيرة من لحم البقرة والأوز ، وتقدم لهم خمر مصنوعة من العنب ، وأكل السمك غير مباح لهم ، ولا يبذر المصريون الفول في بلادهم أبدا ، ولا يذوقون ما قد ينبت منه فجأ أو مطبوخا ، أما الكهنة فلا يطيقون حتى رؤيته ويعتقدون انه بقل نجس» ، غير ان الرحالة الذين أتوا بعده لم يشار كوه هذا الرأي ، فهم يذكرون أن التهنة كان عليهم أن يحرموا على أنفسهم كل شيء تقريبا ، ومن تلك المحرمات بعض أجراء الذبائح ، فضلا عن لحوم البقر والخنزير والماعز والحمام والبيج والأسماك ، وبخاصة البحرية منها ، إلى جانب الخضر والفول والثوم ، أما النبيذ فكانوا لا يتناولون منه الا قدرا ضئيلا أو لا ينالون منه شيئا ، كما أن الملح الذي كان من منتجات الإله تيفون لم يكن من المرغوب أن يظهر على موائدهم¹. وكان من سلطة الملك في بعض الأحيان ترقية من يعجب بنشاطه واستعداده من الكهان²، وبدهي أن في ذلك مبالغة غير مقبولة ، وربما كانت الحيوانات والخضروات التي أشرنا إليها محرمة في بعض الأقاليم ، ولم تكن كذلك في أقاليم

¹ --محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص528

² -سيرج سونيرون، تر زينب الكردي، المرجع السابق، ص52

أخرى ، كما أن تحريم أنواع بعينها من الأطعمة في إقليم انما كان خاصا بعقيدة الإقليم نفسه ، وأما الفول فأغلب الظن أن يكون في رواية هيرودوت شيء من المبالغة ، وقد يكون الصواب فيما رواه ديودو الصقلي من أن أكل الفول قد كان محرما على بعض المصريين ، وعلى أي حال ، فلقد وجدت حبوب الفول في قبور بعض المصريين ، مما يشير الى أن زراعته لم تكن محرمة ، كما يزعم هيرودوت ، وربما كان تحريم أكله مقصورا على المكان ، وأما السمك فقد اختلفت الآراء حولتقليده في مصر الفرعونية ، وان كان مما لا شك فيه أن السمك النيلي كان وما يزال من عناصر الغذاء طريا ومجففا ومملوحا ، وقد أشار الى ذلك هيرودوت نفسه ، وبخاصة في أقاليم الدلتا والفيوم حيث كان في الفيوم كذلك مصدرا من مصادر دخل الخزنة الملكية ، هذا وتشير الوثائق التاريخية الخاصة بأنشطة العمال من الغذاء الى مقدار ما كان يصرف لكل منهم من السمك ، ومع ذلك فقد اعتبر القوم أن صيد السمك من الحرف الوضيعة ، الا أن تكون رياضة يمارسها الهواة من المقتدرين وأهل اليسار ، وأيا ما كان الأمر ، فان حياة الكهنوت انما كانت تحرم الاتصال الجنسي أيام الاعتكاف في المعبد ، كما كان عليهم الاكتفاء بزوجة واحدة ، بينما كان لغيرهم أن يتزوج من أكثر من واحدة ، ومع ذلك فلم يكن هذا القيد عاما ، وكان عليهم جميعا أن يتطهروا عندما يعبرون السور المقدس.

طبقات الكهنة: اختلفت طبقات الكهنة وألقابهم من عصر لآخره¹ وذلك راجع إلى اختلاط الطبقات ببعضها البعض فامتزاج الوظائف يستدعي وجود هوة سحيقة تفصل بين الكهنة على اختلاف مراتبهم ومن هذه الطبقات نبدأ ب

الكاهن الأكبر: من الكهنة العبادة الأساسيين الذين يسمح لهم بخدمة إله وما تستلزمه هذه الخدمة من الدخول إلى قدس الأقداس وفتح ناووس ورؤية إله وكان الكاهن الأكبر على رأس التنظيم الكهنوتي خاصة في معابد الآلهة الرئيسية ليس فقط من الناحية الدينية وإنما أيضا من الناحية السياسية إلى جانب ذلك كانت له مسؤوليات إدارية عديدة فكان مسؤول بوجه عام على أعمال البناء والتشييد لتوسيع معبد بالإضافة إلى إشرافه على بيت الخزانة الخاصة بالإله ، كما كان قائد للجند الذي يعين لمعبده ومسؤولا عن ممتلكات المعبد من مصانع وأراضي ومشرف على الموظفين

¹ - بماء الدين ابراهيم ، المعبد من الدولة القديمة حتى الدولة الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001، ص143

الذين يعملون في ممتلكاته وقد ارتبطت السلطة إلى حد كبير بالإله الذي يقوم على خدمته فهو كاهن الأكبر لإله الشمس في عين الشمس، كما كان يسمى أعظم الرائيين بالإضافة إلى ألقاب أخرى كبير كهنة بتاح "و" "زعيم الأول للفنانين".

كهنة النبيئين (prophetes): وهي طبقة تعمل على مساعدة الكاهن الأكبر في إحياء الطقوس الدينية ويعتبرون الكهنة الحقيقيون لقبوا بخدم الإله وهي مكونة من الكاهن الثالث والرابع¹.
الكهنة المرتلون "خريوجب هم المكلفون بتلاوة وتفسير الكتب المقدسة التي تحتوي نصوص الدينية القديمة قوة سحرية مخبأة فيها وهم العلماء الذين يرتلون الصيغ الدينية أثناء الحلات الدينية.

د- كهنة المطهرون "وعبو" تقوم هذه الفئة بالخدمة الدائمة في المعبد بحكم طبيعة الأعمال المسندة إليها وهم يمثلون القاعدة العريضة للكهنة داخل المعبد والمرحلة الأساسية التي ينبغي أن يمر بها الكاهن ويصل إلى الدرجات الدينية العليا وكانت تتحقق من زكاة الحيوانات والتضحية المذبوحة كما يقومون بالأعمال اليدوية كتنظيف المعبد وتزيين تمثال الإله والسير أمام الموكب المقدس الذي يتبع الإله في الحفلات وحمل السفينة المقدسة على أكتافهم ورش المعبد بالماء للتطهيرة، كما عمل بعض من الكهنة المطهرون وشغلوا مناصب إدارية وأشرفوا على موظفين تابعين للمعبد من نحاتين و رسامين وكتبة.

هـ - الدارسون والمثقفون :

ارتبطوا بما يسمى بيت الحياة وكانوا يقومون بالعمل في غرف قرب المعبد ويعنون بالكتب الدينية اللازمة للعبادة وغيرها من ألوان العبادة².

و- حفظة الوقت "النوبة": ويسمون في اللغة المصرية بـ "سا" كونهم كانوا يتناوبون على عملهم لساعات معنية ويشكلون أربعة مجموعات كل مجموعة تقوم بالخدمة لمدة شهرة³.

¹ - ادولف ارمان وهرمان، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ص210

² - مبرسيا الياد: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، دار دمشق، دمشق، 1975، ص8،

³ - خزعل الماحدي: الدين المصري، مرجع سابق، ص61

المنجمون: هم جماعة الفلكيين الذين يحددون أيام الأعياد والمآسي وما يشير إليه اليوم من السعد والنحوس أو في أواخر عصور الحضارة المصرية أصبح الكاهن المنجم عالما كبيرا.

ع-الطبقة الدينية تشمل كل الكهنة الذين لهم الحق في حمل لقب المتطهرين غير أنهم لا يؤدون في العبادة إلا دورا ثانويا كحمل مراكب مقدسة والقيام برش المعبد.

الكهنة واختانون: عندما تولى «اختانون» عرش البلاد وجد الأمور مهيأة بعض الشيء للثورة على «كهنة آمون» إله طيبة وطقوس عبادته المعقدة. فخرج عليهم «اختانون» بفكرة جديدة هداه تفكيره إلى نظرة سامية في أصل الكون أساسها وجود الإله الواحد الأعظم¹ الذي تطل سماؤه الحانية من عليها فوق جسم الأرض، ومن هذا العناق المقدس تخلق الأشياء بجسم أرضي وروح سماوية، وأطلق على إلهه الجديد اسم «أتون» وهو اسم من أسماء «رع» وهو ليس قرص الشمس ولكنه القوة الخفية خلف قرص الشمس التي تهب الحياة والحركة فرمز له بقرص الشمس التي تتدلى أشعتها على شكل أياد بشرية تحمل مفتاح الحياة ورموز الخير والنعم وطالب الناس بعبادته لا شريك له. وان كان «أمون» هو «إله طيبة» وحدها فإن «أتون» هو إله الناس جميعا لا في مصر بأكملها وحدها بل في سوريا وفلسطين والسودان بل إلى كل أرض تمتد أيادي أشعته لتمدها بالحياة ونوره ليضيء سماءها. فعليهم أن يخصوه وحده دون إله آخر بالعبادة. وأطلق الملك الفيلسوف على نفسه اسم «اختانون» (اختن آتن «مكرس الإله، وفسرها مؤرخو الأديان بأنها تعني «رسول الله».

لقد حاول «اختانون» إجبار «كهنة آمون»² على أن يعترفوا بمعبوده «رع» كأحد معبودات معبد الكرنك القلعة الحصينة «للمعبود آمون» والآله الخاص للعائلة المالكة فقبلوه على حذر وسمحوا له أن يشيد معبدا له في رحاب الكرنك، بل وأضافوا اسم «رع» إلى «المعبود آمون» فتحول اسمه إلى «أمون رع» حتى يصبح «رب الأرباب» جميعا بما فيهم «رع». ولكن سرعان ما أظهر «اختانون» نيته وأفصح عن صفات معبوده الجديد بأنه «سيد الكون كله لا شريك له».

¹ - كريم سيد، اختانون، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1997، ص7

² - المرجع نفسه، ص8

رفض كهنة آمون هذه النعوت وأخذوا يناوئون الملك والمعبود الجديد وكان «اخناتون» يمتقنهم مقتا شديدا وبدأهم العداء بإيقاف المعونة التي فرضوها على الدولة وتزيد عن ميزانية القصر والبلاط بأكمله وجرد حملة قوية هدفها محو كل أثر «لآمون» بتهشيم تماثيله وكشط أسمه من فوق آثاره القائمة وتشتيت كهنته . وأغلق «معابد آمون» أينما وجدت كما محو أسمه (امنحوتب) أينما رآه كما محو اسم والده لان في تركيبه اسم «آمون»، وزاد بأن محو لفظة (رب الأرباب) التي كانت تطلق على بعض الآلهة ومن بينهم «آمن رع»، وهو اللقب الذي كان يطلق على بعض الآلهة المحلية تشبها «برع» الإله الواحد في عقيدة التوحيد الأولى التي نزلت «معبد أون» في «هيليوبوليس» ثم ولى «اخناتون» وجهه شطر الآلهة الأخرى فأنزل بها ما فعل «بامون» وزاد بأن محو لفظ «الآلهة» بصيغة الجمع من كل المعابد حتى يؤكد وحدانية الآله الذي لا شريك له: وتشبه تلك الحملة التي قام بها «اخناتون، ضد المعابد واهتها المتعددة تلك الحملة التي قام بها «الملك ميناه الذي وجد البلاد بتوحيد العقيدة وعاد بالبلاد إلى توحيد الآله «رع» الذي رمز له بالصقر «حور» وهو أحد أسماء الإله رع كاتون» الذي اتخذ منه «اخناتون» رمزا للإله الواحد رع. ما تعتبر السنة السادسة من حكم «أمنحوتب الرابع» نقطه تحول جذري في تاريخ العقيدة . هي السنة التي بدأ فيها ثورته بتغيير اسمه من «أمنحوتب» (رضاء آمون) إلى «اخناتون» (رسول اتون)، أطلق على طيبة نفسها معقل «آمون» أسم «ضوء أتون العظيم» وهي السنة التي انتقل فيها من طيبة إلى «أخت أتون» (أفق أتون) كعبة التوحيد لتصبح العاصمة الدينية والسياسية للبلاد.

ذكر «اخناتون» أن الفضل في اختيار موقع كعبة التوحيد (أخت أتون) كان للإله الواحد «رب السماوات والأرض» الذي اختار موقعها على أرض مقدسه لم يدنسها بشر، أرض يشرق عليها وجه الإله كل يوم ، أرض تتوسط الشمال والجنوب»¹.

كان أتون هو الإله الواحد الذي لا شريك له ولكن مثل هذا التعبير كان يطلق على عدد غير قليل من الآلهة ومنها آمون ، ولهذا لم يكن جديدة على الديانة المصرية ، ولكن الجديد هو تحريم عبادة آلهة أخرى في الوقت نفسه².

¹ - سيد كريم، المرجع السابق، ص8

² - أحمد فخري، مصر الفرعونية، المرجع السابق، ص240

المبحث الثالث : طقوس الجنائزي بمقابر الأفراد في الأسرة الثامنة عشر

شغلت اللوائيم حيزا ليس بالقليل من مساحة المناظر الممثلة على جدران مقابر الأفراد، وخاصة بجبانة طيبة في الأسرة الثامنة عشر، وقد عكست هذه اللوائيم ملامح الثراء والرخاء التي اتسمت بها هذه الفترة.

عبر المصري القديم عن الوليمة بكلمة لها معنى آخر صريح وهي كلمة: hb بمعنى عيد، حيث لا توجد في اللغة المصرية القديمة كلمة تعني بوضوح وليمة، فكانت كلمة hb هي أقرب الكلمات لمعنى وليمة من وجهة نظر المصري القديم، كما أنه في بعض الأحيان تم استخدام عبارة في صيغة الأمر تشير إلى إقامة وليمة أو عجي وهي: (irhwnfr.)

هذا وقد أقام المصري القديم اللوائيم للاحتفال ببعض المناسبات التذكارية مثل: الميلاد والزواج وعند الحصول على المكافآت، وهو ما جاء ممثلا على جدران مقبرة نفر حتب بطيبة من عهد أي، حيث أنه احتفل بإقامة وليمة عند حصوله على عطايا وهبات كثيرة من الملك كما احتفل المصري القديم ببعض الأعياد مثل عيد رأس السنة: مقبرة جحوتي مس بطيبة من عهد تحتمس الثالث، ومقبرة رع إم عا بطيبة من نهاية الأسرة العشرين، وعيد الوادي: مقبرة نب آمون من عهد تحتمس الثالث، مقبرة آمون إم إينت بطيبة من عهد أمنحتب الثالث، وعيد الحصاد: مقبرة منخبر رع سنب بطيبة من عهد تحتمس الثالث¹، وقد مثلت مناظر الاحتفال بهذه اللوائيم على جدران المقابر لكي يستطيع المتوفي الاستمتاع بها في العالم الآخر كما استمتع بها في حياته الدنيوية، وهناك من يرى أن هذه الاحتفالات ربما تمثل الوليمة الجنائزية التي تقدم للأقارب والأصدقاء بعد الجنازة هذا وقد بدأت المناظر التي تعبر عن الوليمة الجنائزية تظهر على جدران مقابر الأفراد في أثناء أو بعد عهد الملك تحتمس الثالث، واستمر تمثيل هذه المناظر حتى الفترة التي تسبق عصر العمارنة بقليل.

¹ - منصور النوي منصور، مناظر أعياد في المقابر أفراد الدولة الحديثة بجبانة طيبة دراسة تحليلية مقارنة، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الأدب جامعة أسيوط، 1994، ص62

وتعتبر المناظر الواردة على جدران المقابر أكثر المصادر التي تعطي معلومات ثرية حول الولائم الاحتفالية في مصر القديمة، وتعد مقابر الأسرة الثامنة عشر أهم هذه المصادر حيث أن في الأسر اللاحقة لها أصبحت مناظر الولائم الاحتفالية نادرة نوعا ما في المقابر المصرية، وذلك يرجع إلى تدهور مكانة الإله آمون مع علو شان الآلهة الجنائزية مثل: سوكر، بتاح، أوزيريس، حيث حلت المناظر ذات الطابع الجنائزي محل أغلب مناظر الولائم الاحتفالية المتسمة بالترف مثل: عيد الوادي، وتتم الولائم الاحتفالية في حضور صاحب المقبرة الذي يجلس في بعض الأحيان بجوار والدته، مقبرة حور إم حب التي بطيبة من عهد تحتمس الثالث إلى أمنحتب الثاني، وفي أحيان أخرى يجلس بجانب زوجته (سيدة المنزل)، مقبرة وسرحات بطيبة من عهد أمنحتب الثاني، ويظهر الضيوف من الأقارب والأصدقاء وهم يتجهون بوجوههم نحو صاحب المقبرة مرحبا بهم، وتوجه إلى الشخص الذي يزور المكان (الضيف) عبارات للترحيب به منها: " ياله من مجئ ! لكل من أتى "، وهكذا يتم الترحيب بكل شخص ترحيبة ودودة، كما أن من ضمن التحيات أيضا تلك التحية التي مدح من أجلها رجل لأن فمه كان مليئا بعبارات: " ياله من مجئ ! ياله من مجئ ! حيث الطعام للجميع"، وما نلاحظه هنا أن الأمر قد تخطى مجرد الترحيب الودود بالناس إلى تقديم الطعام لهم بكرم ولطف، وكما وجهت التحيات إلى الأحياء وجهت كذلك إلى الموتى حيث أنه عندما يدعى ساكن العالم الآخر لوليمة إلهة الموتى يقال له: " ياله من مجئ ! ياله من مجئ ! " هذا ويقوم بخدمة الضيوف في الولائم الاحتفالية فتيات صغيرات قد يكن بنات السيدات اللاتي تحضرن الحفل، أو قد تنتمين إلى طبقة الخدم هذا بالإضافة إلى وجود خدم ذكور يقومون أيضا بدور الخدمة. ويتبع القائمون على خدمة الضيوف مجموعة من المراسم المتمثلة في : تقديم زهور اللوتس للضيوف، وكذلك عقود من الزهور توضع على الصدر، هذا بالإضافة إلى مسح أجسام الضيوف بالدهانات والزيوت العطرية، ووضع مخاريط الدهان العطري فوق رؤوسهم، وتقديم الأطعمة لهم، والشراب من النبيذ. كان لشعائر الجنائزية دوما أهمية كبرى، إن تغيرت أهميتها تغير ملحوظا على مر الزمان. ونظرا لأهمية الكبرى التي اولاهها المصري القديم لاتحاد العناصر التي تتكون منها شخصية الإنسان حتى تستمر الحياة بعد الموت، وفقا لاقدم التصورات وأكثرها رسوخا أيضا، على إمتداد

التاريخ، فقد سعى منذ أقدم العصور ليحتفظ بالجسد سالما. وكان مناخ مصر في الحقيقة يساعد على ذلك ويسمح به¹.

المبحث الرابع: المعابد

معبد آمون بالأقصر

شيد هذا المعبد أمنتب الثالث سنة 1450 ق م ، وخصص لثالوث مدينة طيبة وأضيفت اليه اجزاء في عهد رمسيس الثاني : وينقسم الى قسمين² ، قسم يخص الأمينوفيس أو أمنتب الثالث تصل بأعمدة يبلغ ارتفاعها ١٧ م، والقسم الثاني مخصص لرمسيس الثاني الذي يحتوي على تمثال عظيم للملك بالوضع الجالس ، اعتلى أمنتب الثالث عرش الإمبراطورية المصرية وهي في أوج عظمتها ومنتهى اتساعها نتيجة لمجهود سبعة من فراعنة الأسرة الثامنة عشر مثل تحتمس الثالث³ . وكانت أم أمنتب الثالث أميرة أجنبية ، وزوجته سيدة من الشعب ، ولم تكن من سلالة الفراعنة . فكان على هذا الفرعون أن يثبت حقه في العرش ، فلجأ الى الأسطورة الرائعة التي استنبطها من ذيله جدته الملكة حتشبسوت ، ووهب هذا المعبد الفخم للاله آمون وزين إحدى صالاته بمناظر ترمز إلى ولادته ، مدعيا أن أمه حملت فيه من الاله آمون ، الذي جاءها على صورة أبيه تحتمس الرابع وبطبيعة الحال لم يتوان كهنة وقساوسة هذا الاله من قبول وتأكيد هذه التمثيلية ، وتوطي شرعية وحق أمنتب الثالث في العرش بعد الحصول على هذه الهبة القيمة . بل ارد أن يشيد معبد يتقرب به إلى الاله آمون رع إله إمبراطورية كما يزهو فيه بأعماله ويسجل على جدرانته نشأته الإلهية فجاء هذا المعبد جمالا فوق جمال ، برشاقة أعمدته وتناسق أجزائه ورقة نقوشه⁴ .

أتم أمنتب الثالث المعبد ، ولكن زخرفته ونقوشه لم تكن قد تمت حيث ارتقى العرش ابنه أخناتون، الذي عمد الى تشويه نقوشه ومحو اسم الإله آمون كما هو معروف عنه حيث بني بجوار

¹ -فرنسوا دوما ، حضارة مصر الفرعونية، تر ماهر جويجاتي، المجلس أعلى للثقافة، القاهرة 1998، ص 473

² -توفيق حمد عبد الجواد ، العمارة وحضارة مصر الفرعونية ، مكتبة أنجلو المصرية 1984، ص 251

1- توفيق حمد عبد الجواد ، المرجع السابق ، ص 252

⁴ -محمد عبد القادر، آثار الأقصر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية 1982، ص 175

معبد أبيه معبدا للاله آتون ، الذي كان هذا الفرعون ييشن . لعبادته دون غيره ، حيث لم يعمر كثيرا ، بل هدم هذا المعبد بعد موت أختاتون .

آن معبد آمون بالأقصر الذي أنشأه أمنتب الثالث كان كاملا من حيث أجزائه ، وهي البايلون وصحن مكشوف وبهو الأعمدة وقدر الأقداس وما يتبعها من ملحقات . وأمام المدخل صفيين من الأعمدة الضخمة على شكل زهرة البردي المفتوحة ، تحمل سقف ممر مقفول من الناحيتين بحوائط . ويلاحظ أن محور المعبد موازيا لضفة النيل ، ومدخله في الجهة البحرية تجاه الطريق المؤدي إلى معبد الكرنك . وكان يحوط بصحن العبد من جهاته الثلاثة البحرية والشرقية والغربية رواق مسقوف سقفه على صفيين من الأعمدة على شكل سيقان البردي المخرومة ، وعلى رأسها تيجان تشبه زهرة البردي المقفولة ، متقنة الصنع ذات نسب جميلة . ويلي هذا الصحن صالة الأعمدة يحمل سقفها أربعة صفوف من الأعمدة ، ويلي ذلك صالتيين صغيرتين تؤدي إلى قدس الأقداس يحيط بها باقي الملحقات الأخرى ، وأهمها صالة خصصت لنقوش ومناظر ولادة ونسب أمنتب الثالث للاله آمون . هذه هي الأجزاء التي أنشأها أمنتب الثالث ، وهي كما ترى معبد كامل . أما الزيادات التي جاءت بعد ذلك ، فهي لرمسيس الثاني حيث أنشأ ضمن معبد في الجهة البحرية يحيط جهاته الأربعة أروقة محمول أسقفها على أعمدة بردية . وأقام رمسيس تماثيل اه ضخمة بين هذه منقوش عليها واقعة قادش المشهورة.

معبد آمون بالدير البحري 1020 ق.م

شيدت هذا المعبد الملكة حتشبسوت ، ابنة تحتمس الأول على الضفة الغربية لنهر النيل ولم يتم بناؤه ، ويمتاز هذا المعبد باختلافه عن جميع المعابد المصرية القديمة اختلافا تاما - وهو يحتوي على ثلاث ساحات تم تسويتها في الصخر ومنحوتة في باطن الجبل ، وحوائطه مائلة بالطريقة القديمة المتبعة وبجانب هذه الساحات العليا يوجد ، وهو الأعمدة بسقفه الحجري ، وليس ذلك بمألوف في المباني المصرية القديمة ، بينما يريد الهيكل المنحوت في الصخر¹ ، تحتمس الثالث وزوجته حتشبسوت : أول امبراطور في التاريخ وسع حدود بلاده اثر 17 حملة ناجحة في أنحاء الدنيا ، ومع هذا فقد كانت زوجته حتشبسوت التي تكبره سدنا ذات شخصية أقوى منه طغت على

¹ - توفيق حمد عبد الجواد ، المرجع السابق ، ص 253

شخصيته وحكمه . أحببت كبرى مهندسيها سنموت ، الذي عبر عن وفائه وإخلاصه لها بتصميمه الفريد لمعبدها الجنائزي بالدير البصري في حضان جبل القرنة مطلا على نيل الأقصر ، حيث جاء تحفة معمارية فريدة من نوعها . اطلق على هذا المعبد في عهد الملكة حتشبسوت اسم يعني قدس (أقدس أمون)¹ .

الجانب الأكبر من حياته كان العمل يستمر في تشييد هرمة أو معبده ، وبعد وفاته كان المكان يترك الكهنة والموظفين لاقامة شعائر عبادته وإدارة أملاكه الجنائزية ، اللهم الا اذا قرر الملك الجديد استمرار الإقامة في ذلك المكان ، لأن الصحراء المجاورة كانت توفر مكانا مناسباً لبقائه . وحتى 1500 ق.م عندما أصبحت طيبة مدينة عظيمة لم يكن أصغر عاصمة دائمة بمعنى الكلمة - عن هنري فرنكفورت : وقد نعمت مراكز العبادة هذه بحياة مستمرة مثل منف وأبيدوس ومراكز المدافن الملكية مثل طيبة التي تكثر فيها المقابر .

وقد شيد معبد الملكة حتشبسوت في طيبة بالحجر الجيري الأبيض 1020 - 1480 ق م بعد أن أصبح بناء الأهرامات منذ مدة طويلة أمر غير مألوف ، وهو يبدو كأنه أكروبول مقلوب أسفل الجبل . وقد أضفى المهندس المعماري الملكي « سنموت » Senmout على شكل هذا المعبد وتخطيطه طابعا من الجد والصفاء يكاد يكون اغريقيا . والمعبد مشيد على عدد من المدرجات التي تعلو كل منهما الأخرى ، وتنبت وراءها على نحو لا يبدو واضحا في الصورة ، يرجى أن ينظر صورة المعبد . وتؤلف - المباني أفنية مفتوحة تعتبر خروجاً على الأفقية المكتظة بالمنشآت والمحاطة بالمباني ، وهو النظام المألوف في المعابد التقليدية .

ملاحظات عن المعبد بالدير البحري :

أولا - يلاحظ أن البوابات على يمين ويسار الطريق المائل ليست متساوية العدد كما كان منتظرا فعددها ثلاثة عشر في الجزء الأيمن ، واحدي عشر في الأيسر¹

ثانيا - أن محور المعبد لا يتوسط السورين الخارجين - الموازين الطريق المائل . فالسور الأيمن على بعد 65 مترا من الحدود

¹-توفيق سيد، تاريخ العمارة في مصر القديمة الأقصر، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب جامعي، القاهرة 1990، ص199

بينما السور الأيسر على بعد أربعين مترا فقط .

ثالثا - تدل الواجهة أن الدور العلوي والهرمي على مسافات متس اوية من المحور بينهما بوائك الدور الأسفل ممتدة الى اليمين أكثر منها الى اليسار . وقد أثبتت الأبحاث الدقيقة عدم وجود ما يبرر ذلك

رابعا - أن الباب (في الحائط خلف الهرم مباشرة) المؤدي الى بهو الأعمدة ليس في المحور وعلى يساره خمسة هياكل صغيرة ، والظاهر أنها كانت موجودة قبل بناء المعبد أو اضيفت بعده مما أدى الى انحراف الباب عن المحور .

فاذا فرض وجود الهياكل سابقا ، فكان من السهل ترحيل المحور العمومي هذا القدر البسيط الى اليمين فيصبح الباب في المحور¹ . واذا فرض أنها الحقت بالمبني (وتدل طريقة بنائها أنها مستقلة عنه) فلا بد أن لها علاقة بالمقابر خلفها مباشرة . على أنه لا توجد دهايز تهدلها بالمقابر كما هي العادة

خامسا - يلاحظ أن الموقع الجبلي أثر تأثيرا كبيرا في التصميم العمومي لهذا الخارج ، وقد أبطل تشييدها في أرض الفراعنة بعد ذلك.

¹ - توفيق حمد عبد الجواد ، المرجع السابق ، ص 256

خاتمة

خاتمة

استعادت الملكية في عصر الأسرة الثامنة عشرة هيبتها التقليدية، بشخصيات فراعتها وجهودهم في سبيل توطيد استقلال دولتهم وتنمية ثرائها وتوسيع حدودها وإعلاء شهرتها. وإن كانت أغلب هذه الجهود من حيث الواقع العملي من كسب أعوان الملوك والشعب أكثر مما هي من كسب الملوك أنفسهم على الرغم من كفاية أغلبهم وتأثيرهم في سياسة عهودهم. واستمسكت هذه الملكية بما استمسكت به الملكيات القديمة المستقرة من حيث الإصرار شكلاً على الأقل على المركزية الواسعة وادعاء حق الحكم الإلهي والقول بالوراثة المقدسة والبنوة للآلهة الكبار.

*خرج أولو الرأي المصريون من محنة الهكسوس وقد غلب على تفكيرهم أنه لا أمان لاستقلالهم من غدر أعدائهم إلا إذا واصلوا الاهتمام بجيشهم وزادوا قوته الحربية، وأنه لا أمان لاقتصادهم من اعتداءات بقايا الهكسوس وأمثالهم إلا إذا أبعدوهم عن مسالك تجارتهم الخارجية جهد ما يستطيعون وأحاطوهم بأنصارهم جهد ما يستطيعون، وأنه لا أمان لمستقبل بلدهم ممن غزو هجرات شعبية جديدة غريبة إلا إذا سيطروا بأنفسهم على مداخل الهجرات في شمال الشام وأطراف العراق. وتكفل بالمرحلتين الأوليين من هذه السياسة الملكان أحسن الأول وأمنحوتب الأول على التعاقب. بينما أخذ خليفتهما تحوتمس الأول على عاتقه أن يبدأ بتنفيذ المرحلة الثالثة منها.

كان منطقياً أن تعقب فترة النضال المستمر في المرحلة الأولى من عصر الأسرة الثامنة عشرة، فترة هدوء واستجمام، وقد حدثت هذه الفترة بالفعل في عهدي ولدي تحوتمس الأول. وهما تحوتمس الثاني ثم حاتشبسوت. وقد سارت العلاقات الخارجية في عهد تحوتمس الثاني "عاجرين رع" سيراً عادياً هيناً، وتكفلت جيوشه بمجهودات يسيرة لتوطيد الأمن في الأملاك واتجهت سياسة الدولة في عهد حاتشبسوت "ماعت كارع" وجهة إفريقية أكثر منها آسيوية، فعملت جيوشها على توطيد الأمن في منطقة كاش. وعلى استغلال مناجمها وزيادة التبادل التجاري معها هي وما ورائها من بلاد السودان. وخرجت حينذاك بعثتها الاقتصادية الكبيرة المشهورة إلى بلاد بوينة "أو بونت" في عام حكمها التاسع.

أدت جهود النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة إلى أن بلغت خيرات مصر وثروتها في بداية عهد أمنحوتب الثالث "نب ماعت رع" خليفة تحوتمس الرابع "منذ 1405 ق.م"، مبلغاً لم تبلغه من قبل، ليس فحسب عن طريق الضرائب والاستغلال الداخلي والغنائم والجزى، بل ولأن الدولة قد وطدت سيطرتها على عصب التجارة البرية في الشرق، وأزادت أساطيلها في البحرين الأحمر والمتوسط، واستخدمتها أداة للرخاء التجاري ولأمان البحر وأمان السواحل ولتوسيع اتصالاتها بجيرانها، وحملت طرق البر والبحر الآمنة أفواجاً من التجار والسفراء والرسل والزوار من مصر وإليها، فضلاً عن أفواج الأرقاء والجواري الواصلة إليها من الشمال والجنوب. وظل هؤلاء جميعهم من أدوات التبادل والتقارب الثقافي واللغوي والفني والصناعي بينهما وبين جيرانها. وترتبت على ذلك كله بالنسبة لمصر نتائج طيبة وأخرى غير مستحبة، فكان من النتائج الطيبة أن اتسعت آفاق المصريين المادية والفكرية واستحبوا حياة السلام، وخفت حدة التزعات العنصرية بينهم وبين جيرانهم، وزاد انتشار حضارتهم بين أهل الشام وبلاد الميثان. وانتفع هؤلاء وهؤلاء بالفن المصري ومزجوا بينه وبين فنونهم. وازدادت أعداد المصريين في الشام، كما استقبلت مصر مزيداً من أفواج أهل الشام بصدر رحب واستحبت بعض مصنوعاتهم وفنونهم، ونفعتهم وانتفعت بهم، واستضافت بعض معبوداتهم ومعبودات الميثان في معابدها.

ولكن تبدلت أحوال الاستقرار الخارجي في عهد أمنحوتب شيئاً فشيئاً. بعد أن استنم إلى حياة الرفاهة وترك تقاليد آبائه في إثارة السلام المسلح والخروج من حين إلى حين إلى أطراف دولته

*أما ناحية الدينية فشهدت في عهد أخناتون "نفر خيرو رع"، تطورا حيث انصرف فيه هذا الأخير إلى دعوة الوحدةانية وظن معها أن الدعوة لإله واحد يعبد الجميع ويتساوى عنده الجميع يمكن أن تربط بين مصر وبين أتباعها وجيرانها بروابط أوثق من كل ما جربه أسلافه من روابط الحرب والسياسة والمصاهرة.

أما من ناحية العمارة فشهدت ازدهار كبير ترجم بتشيد معابد ضخمة حيث شيد ملوك الأسرة الثامنة عشر المعابد اضاقت عليها نقوش بارزة تصور مواضيع مختلفة. فعلى الجدار الخارجي وبالصحن المكشوف المخصص للشعب قصص انتصارات الملوك ومكاسبهم التجارية والحربية لتخليد ذكراهم. أما في الجزء الخاص بالكهنة، فتوجد به المواضيع الدينية التي تصور الاحتفالات

والطقوس الدينية التي يقوم بها الكهنة. ولعل أهم ما سجل على جدران معبد الدير البحري، فنرى نقوشاً تصور البعثات التجارية التي أرسلتها الملكة إلى البلاد المجاورة، حيث سجلت هذه النقوش فترة الازدهار التجاري في هذه الفترة. قد انفردت العمارة المصرية بطراز خاص بها وهو طراز نابع من عدة عوامل مشتركة متفاعلة وتتلخص في عوامل الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسة التي عرفها تاريخ الأسرة الثامنة عشر.

الملاحق



تمثال الملك توت عنخ آمون الذي اكتشف قبره في الاقصر

الملك توت عنخ آمون

شتيندروف كسيل، عندما حكمت مصر الشرق، المرجع السابق، ص 304



٣٩- تمثال اخناتون [اللوفا]

اخناتون

شتيندروف كسيل، عندما حكمت مصر الشرق، المرجع السابق، ص 294



٤٠ - رأس نفرتيتي [متحف برلين]

نفرتيتي

شتيندروف كسيل، عندما حكمت مصر الشرق، المرجع السابق، ص 294

إدان دودسون، ترجمة مروة سعيد، ملوك النيل، ص 149

إدان دودسون، ترجمة مروة سعيد، ملوك النيل، ص 149

المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابراهيم رزقانة وآخرون : حضارة مصر والشرق الأدنى القديم ، دار مصر لمطباعة.القاهرة
- 2-أحمد إبراهيم حسن :تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية،1999.
- 3-أحمد سليم أمين :دراسات في تاريخ الأدنى القديم ، دار النهضة العربية، الاسكندرية،1998،.
- 4-أحمد سيد توفيق،معالم تاريخ مصر القديمة،مطبعة جامعة القاهرة،القاهرة1986
- 5-أحمد فخري،مصر الفرعونية،مكتبة الأسرة،القاهرة2012.
- 6-أحمد، سيد توفيق ، معالم تاريخ حضارة مصر الفرعونية ،القاهرة،1991 .
- 7-أدولف أرمان وهرمان ارنك :مصر والحياة المصرية في العصور القديمة .تر: المنعم أبوبكر وآخرون : القاهرة، د.ط، 1953.
- 8-أدولف ارمان وهرمان مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ،مكتبة النهضة المصرية القاهرة.
- 9-إسحاق بنيامين ، قادة مصر الفرعونية ، خناتون وتوت منخ آمون دار الياس المصرية للطباعة والنشر2008.
- 10-باقر،طه، مقدمة في تاريخ الحضارات (حضارة وادي النيل)، ج 2،شركة التجارة والطباعة المحدود،بغداد،1959.
- 11-بيري، سيروم فمندرز ، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة،ترجمة:حسن، (محمد جوهر وعبد المنعم عبد الحميد،الهيئة العامة للكتاب، القاهرة1975 .
- 12-برستد جيمس ينري : تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ، تر .:حسين كمال ، مكتبة مدبولي، القاهرة،1996.
- 13-بهاء الدين ابراهيم ،المعبد من الدولة القديمة حتى الدولة الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2001.
- 14-توفيق حمد عبد الجواد ،العمارة وحضارة مصر الفرعونية ،مكتبة أنجلو المصرية1984.
- 15-توفيق سيد ،معالم تاريخ وحضارة مصر،دار النهضة العربية ،القاهرة1987.

- 16-توفيق سيد، تاريخ العمارة في مصر القديمة الأقصر، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب جامعي، القاهرة 1990.
- 16-تيريس بيدمان وآخرون، حتشبسوت من ملكة الى فرعون مصر،، تر:على ابراهيم منوفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة 2015.
- 17-جيري عبد المنعم: المرأة عبر التاريخ البشري، د.م، سوريا ، 2007 .
- 18-جورج سو نيرون :كهان مصر القديمة .تر، زينب الكردي، هيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1975.
- 19-جون ولسون :الحضارة المصرية، مكتبة النهضة القاهرة 1955 .
- 20-حزين، سليمان، حضارة مصر(أرض الكنانة)، دار الشروق، القاهرة، 1991 .
- 21-رمضان عبده ،تاريخ مصر القديمة ج2، دار النهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة، القاهرة، 2001.
- 22-روبرت ارموار، تر مروة الفقي ،الهة مصر القديمة واساطيرها ،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 2005، الجيزة.
- 23-سريل الدريد :الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 1989.
- 24-سعد الله محمد عمي :تاريخ مصر القديمة، جامعة الزقازيق، مركز الإسكندرية لكتاب، الاسكندرية، 2001 .
- 25-سمير اديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة 2000.
- 26-سميرة الساحلي الجعراي، " رحلة حتشبسوت الى بلاد بونت 1496 ق.م"، مجلة القلعة ، ع9.
- 27-سيرج سونيرون، تر زينب الكردي ،كهان مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
- 28-سيف الدين إبراهيم وآخرون : مصر في العصور القديمة ، تر :محمد شفيق غربال، مكتبة مدبولي، القاهرة،
- 29-سيل شتيروف :عندما حكمت مصر الشرق، ترجمة: محمد العزب موسى، ، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992 .
- 30-طبوزدة يوسف زكية :تاريخ مصر القديمة، مر :محمد إبراهيم عمي، القاهرة، 2008،

- 31-عبد الحليم نور الدين ،دور المرأة في المجتمع المصري القديم،مطابع المجلس الأعلى للأثار2009 .
- 32-عبد الستار لبيب،الحضارات،دار المشرق،بيروت2008.
- 33-عبد العزيز صالح ،الأسرة في عصورها القديمة،الهيئة المصرية العامة للكتاب1988.
- 34-عبد العزيز صالح ،الشرق الأدنى القديم ، ج 1،مصر والعراق ، مكتبةالأنجلو المصرية،القاهرة ،2012.
- 35-عبد العزيز صالح :الشرق الأدنى القديم ، مكتبة الانجل المصرية،القاهرة،2006.
- 36-عبد العزيز صالح :موسوعة تاريخ مصر عبر العصور التاريخية، الهيئة المصرية العامة .للكتاب ،1997.
- 37-عبد المعطي محمد عيد أحمد، نشاط قتبان وعلاقتها بمصر القديمة، المعهد العالي لحضارات الشرق، مصر.
- 39- عبد المنعم عبد الحليم سيد البحر الأحمر وظهيره في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،1992 .
- 40-عبد حليم سالم ،الحضارة المصرية في العصور القديمة ،مطبعة صلاح الدين ،الاسكندرية1934.
- 41-عطا زبيدة، الحياة الاقتصادية في مصر، دار الأمين للنشر والتوزيع ، القاهرة1994.
- 42-علاء الدين عبد المحسن شاهين ،التاريخ السياسي والحضاري لمصر لفرعونية ،الخليج العربي،القاهرة ،2007.
- 43-عمي، سعيد إسماعيل، التربية في الحضارة المصرية ،عالم الكتب، القاهرة1996 .
- 44-فرنسوا دوما ،حضارة مصر الفرعونية،تر ماهر جويجاتي،المجلس أعلى للثقافة،القاهر1998.
- 45-قادة مصر الفرعونية اخناتون وتوت عنخ آمون ،مكتبة المهتدين الإسلامية2007،القاهرة .
- 46-كريم سيد،اخناتون،الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة1997.
- 47-لو كاس،الفريد، المواد والصناعات عند قدماء المصريين ، ترجمة:زكياسكندر ومحمد زكريا ،مكتبة مدبولي، القاهرة ،1991.
- 48-مانفرد لوركر،تر صلاح الدين رمضان،معجم المعبودات والرموز،مكتبة مدبولي ،القاهر2000.
- 49-محمد الدين الخطيب ، مصر أيام الفراعنة، منشورات علاء الدين،دمشق 2001.
- 50-محمد بيومي مهران ،الحضارة المصرية القديمة ، ج 2، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1989 .

- 51- محمد سعد الله ،الدور السياسي للملكات في مصر القديمة، مؤسسة الشباب الجامعة للنشر والتوزيع ،الاسكندرية،1988.
- 52- محمد شافيق غربال وآخرون: تاريخ الحضارة المصرية العصر الفرعوني ، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2016 .
- 53- محمد عبد القادر، أثار الأقصر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب،الاسكندرية،1982.
- 54- محمد فياض ،المرآة المصرية القديمة، دار الشروق، 1995 .
- 55- مريم خولي، حشيشوت صانعة الاساطير، دار الهلال، القاهرة، 2007 .
- 56- منصور النوبي منصور ،مناظر أعياد في المقابر أفراد الدولة الحديثة بجبانة طيبة دراسة تحليلية مقارنة ،رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الأدب جامعة أسيوط، 1994 .
- 57- المنعم عبد الحليم سيد، "حول العلاقات بين مصر وجنوب الجزيرة العربية في العصر الفرعوني"، مجلة المؤرخ العربي، الاسكندرية 1994.
- 58- موسى ،أحمد رشاد ،دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي الدراسة الأولى حضاراتها قبل التاريخ وحضارة مصر الفرعونية ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1998.
- 59- مونتيه بيير، الحياة اليومية في مصر ، ترجمة: : عزيز مرقس، ج1 العربية للطباعة والنشر 1999
- 60- ميرسيا الياد :تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، دار دمشق، دمشق، 1975.
- 61- ناشد، مختار رسمي، فضل الحضارة المصرية على العلوم ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973،
- 62- نبيل محمد عبد الحليم، معالم التاريخ الحضاري و السياسي في مصر الفرعونية، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1998 .
- 63- نظير، وليم ، الثروة النباتية عند قدماء المصريين ، البيئة المصرية العامة لتأليف والنشر ، القاهرة، (1971.
- 64- نعيم فرح :تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر، القاهرة، 1972.
- 65- نور الدين حاطوم :موجز تاريخ الحضارة، ج1 .، مطبعة الجامعة، دمشق، 1964.
- 66- نور جلال، ملامح من فياض الحضارة في العصور المصرية القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2008.

67- ياروسلاف تشري ،تر أحمد قادري،الديانة المصرية القديمة، مطابع الشروق،القاهرة

فهرس المحتويات

المقدمة

06.....	الفصل الاول:الحياة السياسية
06.....	المبحث الأول :مصر خلال فترة الانتقال الثاني ومشكلة الهكسوس
10.....	المبحث الثاني:تحرير مصر من الهكسوس
10.....	-التعريف للهكسوس (1730 - 1080 ق.م).
10.....	معنى كلمة هكسوس.
11.....	أصل الهكسوس.
11.....	.أسباب إغارتهم على مصر.
11.....	أسباب انتصارهم.
15.....	المبحث الثالث:ملوك الأسرة الثامنة عشرة.
16.....	الملك أحمس الأول : (1070 - 1546 ق.م).
17.....	الملك تحوتمس الأول: (1030 - 1020 ق.م)
19.....	الملك تحوتمس الثالث:
20.....	آثار تحوتمس الثالث.
20.....	الملك أمنحوتب الثالث.
22.....	الملك أمنحوتب الرابع أخناتون:
23.....	الملك توت عنخ أمون: نب خبرو رع 1334 - 1327 ق.م.
25.....	الملك حور إم حب:جسر خبرو رع 1323 - 1290 ق.م.
27.....	الفصل الثاني:الحياة الاجتماعية.

المبحث الأول :طبقات المجتمع.....	27
الطبقة العليا.....	27
الطبقة الوسطى.....	29
الطبقة الدنيا	31
المبحث الثاني :المرأة ومكانتها في مصر القديمة.....	33
المبحث الثالث: الوضع القانوني والاجتماعي للمرأة المصرية القديمة.....	37
المبحث الرابع:ملكات حاكمات.....	39
الملكة حتشبسوت	39
الملكة أعح حتب	40
الملكة أحمس نفرتا ري:.....	41
الملكة عنخس أن آمون.....	Erreur !
Signet non défini.	
الملكة «تى».....	43
الملكة فرتيبي.....	44
الفصل الثالث:الحياة الاقتصادية.....	46
المبحث الاول: الزراعة	46
الفلاح.....	47
الآلات والأدوات الزراعية:.....	50
الات وادوات الري.....	51
المحاصيل الزراعية.....	53
الثروة لحيوانية.....	54

54.....	المبحث الثاني: الصناعة.
55.....	الصناعات الأستخراجية.
56.....	صناعة الزجاج.
56.....	صناعة الغزل والنسيج.
57.....	صناعة الصباغة.
57.....	صناعة الجلود.
58.....	المبحث الثالث التجارة وطرق المواصلات.
60.....	. التجارة عبر البحر الأحمر.
61.....	وصف بعثة حتشبسوت إلى بلاد البونت.
62.....	بعثات تجارية إلى بلاد البونت بعد حتشبسوت.
64.....	. التجارة مع الجزيرة العربية.
68.....	الفصل الرابع الحياة الدينية.
68.....	المبحث الأول: الآلهة المصرية.
68.....	آتون Aten.
68.....	أمنتت Amentet:
68.....	آمون Amon.
68.....	أوزيريس Osiris.
69.....	أولاد حورس Sons of Horus.
69.....	إيزيس Isis.
69.....	تحتوت Thot.
69.....	تفنوت Tefnut.
69.....	جب Geb.
69.....	حتحور Hathor.

70.....	Hike	حكا
70.....	Horus	حورس
70.....	Renpet	رنبت
70.....	Renenet	رننوت
70.....	Renenutet	رننوت
71.....	Satis	سانت
71.....	Sobek	سبك
71.....	Soped	سبد
71.....	Sakhmet	سخت
71.....	selkis	سركت
71.....	Seshat	سشات
71.....	Seshemu	سشمو
72.....	Soker	سكر
72.....		. المبحث الثاني: نشأة الكهانة وشروطها.
74.....		2 امتيازات الكهنة.
75.....		طبقات الكهنة:.
75.....	(prophetes)	كهنة النبيين
76.....		الكهنة المرتلون "خريوجب"
76.....		كهنة المطهرون "وعبو":.
76.....		الدارسون والمثقفون.
76.....		المنجمون: .
76.....		ع-الطبقة الديني.
76.....		الكهنة واختانون.
81.....		المبحث الثالث : طقوس الجنائزي بمقابر الأفراد في الأسرة الثامنة عشر.
81.....		المبحث الرابع: المعابد معبد آمون بالأقصر.

82.....	عبد آمون بالدير البحري
86.....	الخاتمة
90.....	الملاحق
95.....	قائمة المصادر والمراجع
	الفهرس